كانت
لتكون
روايه
آلاء نصر
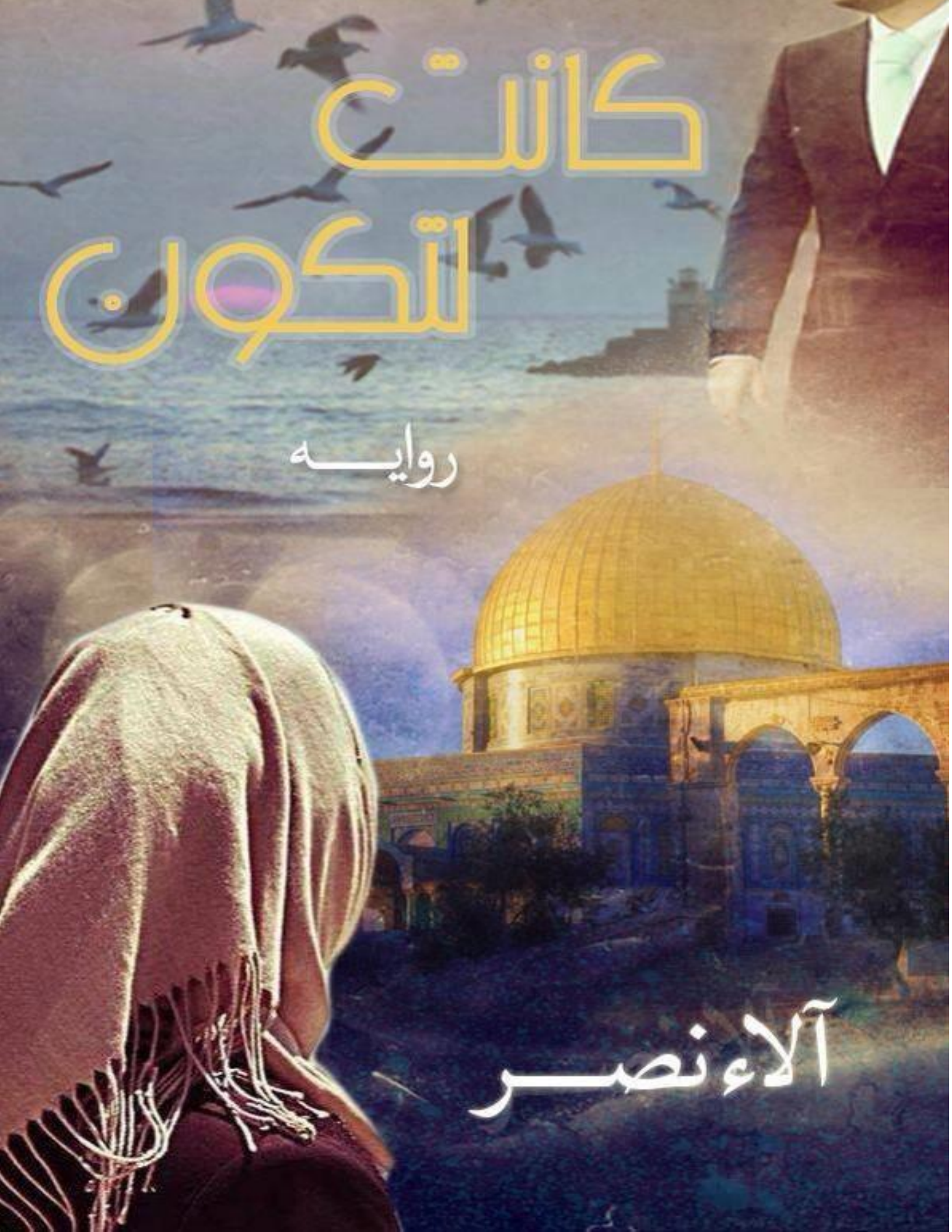
رواية كانت لتكون

ل

د.آلاء نصر

رواية كانت لتكون

المؤلفة : د.آلاء نصر

نشر في : نوفمبر 2015

تنسيق داخلى : عصير الكتب للنشر الالكترونى

الصفحة الاولى :

وعلى ضفاف روايتى ..

كتاب به صفحات بيضاء ليس بها شئ ..

غلاف روايتى ..له لون ولكنه ليس كبقية الألوان المعروفة ..

هو لون لم يُعرف بعد له اسم !!

كان عليه قفل من حديد ..

مفتاحه ليس معى ..

ولكنه مفتوح ..فقلبت الغلاف..

أولى صفحاتى كتبت ..

الإسلام / مصر / الأمة /العلم

النشيد / الوطن /التاريخ

الحكم /السلطه / القرار / الشباب

الوحدة /النهضة / الأزهر

وجف الحبر ..

فذهبت ل

لأملأه فأعود !!!

***

الصفحة الثانية :

قلبت أولى صفحاتى

كان من المفترض أن أكتب إهداء

ولكن إلى من يا تُرى ؟!

أكتب إهداء إلى بلادٍ واقفه أنا على أرضها !

يوما ما يا بلادى سأموت على أرضك !

سأكون فى ذلك الركن حيث المنتصف !

أرى ولا شئ يحركنى !

أبكى وانفعل فأهدأ !

ثم أنظر وأنتظر اجتماع أناس قد تقسّموا !

ثم انظر إلى السماء لأتطلع إلى رب الكون

وأسأله تأليفاً للقلوب !

فتصيبنى رصاصة ...

فأسقط ع أرضك لأرويها

ويظل من حولى يتساءل ...

أكانت الطلقه من الداخل ..

أم من الخارِج بصنع من الداخل !

وبموتى أنا.. يجتمع الناس من جديد على كلمة واحده !

لأحيا من جديد أنا ..

ويرسمون لمن ماتوا جميعا رسمة واحده فقط قد جمعتهم !!

أما تلك الرسمة فلن تحتوينى أنا

أنا شئ لا يُرسم ..لا يُكتب

أنا الإحساس ..أنا الأمه !!

***

الصفحة الثالثة :

قلبت صفحات الكتاب البيضاء..

ووجدتها لدهشتى صفحة سوداء معتمه..

لا اثر فيها لنور !!

الطريف فى تلك الصفحة أنه كان المفترض أن أكتب بها مقدمه كأى كتاب

فماذا ترانى أكتب !! وكيف أكتب ؟ !

روادتنى تلك الفكره الطريفه أن أكتب.....

عزيزي القارئ هيا بنا نفتح صفحة سوداء جديده

حال تلك الكلمات كحال أعرفه أنا!!

انقطع النور فجأه ..وأصبح الظلام من كل الجوانب يحيط بى ..حتى صفحة الكتاب سوداء

أرجعت رأسى إلى الخلف وتفكرت كيف يكون ظلام القلب وعتمته حينما لا يعلم أين الحق ؟!

وهنا جاء لى الخاطر .. وعلمت كيف أكتب ف صفحة مظلمة !

تذكرت قول الإمام الشافعي :..

وأخبرنى بإن العلم نورٌ ..ونور الله لا يهدى لعاصى !

إذن العلم ..هو أول الإجابات !..

كتبته فأضاءت الصفحه قليلاً..

ثم تذكرت قوله "صَل الله عليه وسلم "بشر المشّائين بالظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"

إذن ثانى الإجابات الإرتباط بالمساجد بل الإرتباط بالدين

كتبت الإجابة الثانيه...

فإذا بالصفحة قد أضاءت أكثر ...

ثم تذكرت الدعاء .." *اللهم اجعل ف قلبى نورا وف بصرى نورا....* "

إذن نور الإيمان يُريك بنور البصيرة

إذن الإجابة الثالثه ...الإيمان

فلما كتبتها أضاءت اكثر

ثم تذكرت قوله تعالى "*الله نور السماوات والأرض*"

والآيه كافة ..!!..

فلما كتبتها لم تضئ الصفحه بل أشرقت

حال تلك الصفحه كحال القلوب المظلمه ..كحال البلاد المعتمه ..كحالنا نحن !!!

***

البدايـــة ..

تلك الفتاة الصغيرة ذات الجدائل السوداء ، ضحكتها البرئية كأنها احتوت فرحة الدنيا ... لم تبلغ من الطول الكثير ، وعيناها زرقاوتان عميقتان كزُرقة البحر ... هكذا أخبرها جدها التى ورثت منه تلك العيون.....

كانت تعشق ذاك الرجل كثيراً ، وكانت تذهب إلى زيارته كثيراً ...

ذلك الرجل الكهل الكبير .. ذو الابتسامه الهادئه،بشرته كأنها خطت خريطه العالم

كأنها حفرت آثار الاراضى الطيبه . والمواقف العديده

كانت تُسمى "سَنا " بدون الهمزه ... هكذا كانت تقول لكل من يسألها ، كانت تجلس كثيراً مع جدها وتحب أن تسمع ما يعلمها إياه ، وتراه دائماً يقرأ ما بين كتاب الله وما بين الكتب الاخرى .. لطالما اعتقدت أنه يحمل من الحكمه والحنكه الكثير ،كان دائما ما يُجلسها على قدميه .. وهو يُناقش أو يتكلم ، وكانت من الذكاء ما يكفى لتستمع ...

كان جدها يعيش ف بيت يطل على مناظر حُفرت فى ذاكرة (سَنا) منذ الصغر .. بل حُفرت فى قلبها ،كان البيت رغم بساطته يطل على بحر زرقاء مياهه ، ومن الخلف يطل على حديقه ذات خضار حقيقى يكاد أن ينطق من جماله ، وبه تلك الشجرة القصيرة التى تنبت هذا الورد الأحمر ، كانت (سَنا) تذهب لتداعب تلك الشجرة كثيراً وتقطف من أزهارها، أو تتركها وتستنشقها فقط ...

عندما بلغت من العمر عشر سنين ،أهداها جدها مجلداً كبيراً كان من الصعب عليها أن تحمله بيديها الصغيرتين ،كان شكل المجلد عجيباً حتى أنه أُغلق بقفل لا يُفتح إلا بمفتاح ، أخبرها جدها.. أن مفتاحه ف سلسله ستُهدى إليها بعد ذلك وأشترط عليها حتى تفتحه شروط ، من دونها لا تستطيع أن تفتح الكتاب .. أو تقرأ أى جزء منه !!

كان جدها يعلم أنها لم تبلغ من العمر الكثير حتى تدرك تماماً ما تعنية الشروط ، لذا أعطى لها مع المجلد ورقة وأخبرها أنه قد كتب بها الشروط .. وأخبرها أن عليها أن تعي جيداً ما تعنية الشروط قبل أن تقرأ حرفاً واحداً من المجلد ..

ابتسمت " سنا " لجدها تلك الابتسامة البريئة التى لم تلوثها الحياة بعد .. تلك الابتسامة التى يعشقها جدها كثيراً .. وحده كبير السن كبير العقل من يدرك ماهية ابتسامة كتلك ودلالتها ... فقبّلها ع خدها ....وكم كانت تحب قبلات جدها .. كانت تشعرها بمدى تقارب روحهما .. خاصة عندما يداعبها شعر لحية جدها .. الذى لطالما تلاعبت به وهى صغيرة ..

استئذنت جدها وذهبت إلى تلك الغرفة التى أعدّها لها .. غرفة ذات حوائط لبنية اللون يتوسطها حائط لونه أزرق .. ذلك اللون الذى لطالما عشقته ، كان سقف الغرفة بنفس اللون .. فكانت تنام وتشعر كما لو أنها تحلق ف السماء ..

دخلت إلى غرفتها وداعبت غلاف المجلد بيدها الصغيرتين ، ملمسه ليس بالناعم وليس بالخشن ،هكذا ابتسمت وهى تحدث نفسها ..

ثم أخذها الفضول لتفتح ورقة الشروط .. كان خط جدها الذى ألفته دائما قد كتب هذا ...

الورقة التى كانت نصها .. :

" حبيبتى الصغيره تذكرى لا يجب أن تفتحى المجلد إلا بعد تحقيق هذه الشروط كاملة دون أن ينقص منها شرطاً واحداً .. أعلم أنك فضولية إلى حد كبير ولكن عليك تحقيق الشروط أولا ...

ولعلمى بكمية فضولك .. قررت أن لا أعطيك مفتاح المجلد إلا بعد تحقيق الشرط الأول ..

أعلم أنك ستغضبين كثيرا كما تفعلين دائما .... وترسمين الإحدى عشر بين حاجبيك تُكشرى عن أسنانك .. ثم تصرخين بـ " لا " ... هكذا كنت دائما .. والحقيقة أننى لا يهمنى كل ذلك فإليك الشروط ...

الشرط الأول : عليك أولا أن تبلغى من العمر عشرون عاما ...

عندما قرأت ذلك الشرط .. فعلت تماما كما قال جدها .. ثم وضعت المجلد والورقة جانبا .. وضمّت وسادتها إلى صدرها وشدت الغطاء عليها .. وذهبت ف سبات عميق بعد أن ظلت تستغفر الله كما عوّدها جدها ...

رأت ف الحلم أنها ترتدى ذلك الحجاب الذى تعشقه وتقف على طريق به مفارق ولا تدرى إلى أين تذهب ؟!

أفاقت على قبلة جدها وهو يوقظها إلى صلاة الفجر ، فردّت إليه قبلته وقامت لتتوضأ وتصلى ، ثم قرأت وردها من القرآن وأذكار الصباح .. وراحت فى سبات عميق مرة أخرى ..

استيقظت لتتناول الفطور مع جدها .. ذلك الفطار الذى أعدته والدتها .. قبلت يد والدها ووالدتها وتناولت الفطار معهما .. ثم قررت أن تكمل الشروط ...

جاوزت الشرط الأول ثم أكملت ...

الشرط الثانى : عليك أن تكملى حفظ القرآن كاملا بالتجويد ...

الشرط الثالث : عليك أن تحفظى ما أنشأتك عليه من محافظة على الصلوات فى أوقاتها ومن الأذكار وورد القرآن .. ومن غير تلك الأشياء التى اعتدت عليها منذ الصغر ولا تدعى أياً من تلك الأمور مهما كانت الظروف ..

الشرط الرابع : أن تصلى ركعتين توبة يوميا قبل الذهاب إلى النوم ..

الشرط الخامس : أن لا تتزوجى قبل أن تتنتهى من المجلد !!

الشرط السادس : أن تفعلى الفعل لا تفعليه إلا لله ..

الشرط السابع : ستجدين فى نهاية كل فصل من فصول الكتاب كلمة أو وصية .. حاولى قرائتها جيدا والعمل بها ..

الشرط الثامن : عليك أن تذهبى أسبوعياً على الأقل إلى البحر وتجلسى أمامه ما بدا لك من الوقت ...

الشرط التاسع : أن تطيعى أوامر والديك مهما كان الأمر صعباً عليك ولا يتناسب مع هواك ..

الشرط العاشر : ستجدين هذا الشرط مع نفس الشخص الذى سيعطيك مفتاح المجلد ..

وبدون الشرط الأخير لن يعطيك المفتاح ! ...

حاولى أن لا تبحثى عن هذا الشخص .. رغم علمى بأنك ستفعلين .. إلا أنك يجب أن تعلمى أنه مهما حدث لن يعطيك المفتاح ولن يخبرك بالشرط إلا عندما يحين الوقت ...

واعلمى جيدا أننى أحبك كثيرا وما فعلت شيئا إلا لعلمى بك وخوفى عليك ..

فادعى لى دائما وتذكرينى دائما .. ولتحاولى العمل بالشروط .. واعلمى أنها لا جدال فيها

أحبـك جدا ...

جـدك ...

بسبب عمرها الصغير حينها لم تدرك تمام ما يرمى إليه جدها ، ولكنها فعلت كما طلب ،ليس فقط لأنها تريد فتح المجلد إلا أنها كانت تحب جدها كثيرا ..

يقول الجد : "سنا " هى زهرتى الجميلة .. أحبها كثيرا ، أجلسها دوماً معى وأستمع إليها وأرى فيها دائماً التفكير النابغ المبكر .. برغم أنها كانت صعبة المراس إلا أنها ما إن تقتنع بفكرة أو بشئ ما ، يصير ذلك جزءاً من من دمها وعقيدتها ، فكانت دائما تأتى لتسألنى كثيراً... أجلس معها لأُفهمها فأتعلم منها ...

ولما كبرت وبلغت عشر سنين، علمت أننى لن أعيش لها طويلا ، فأعطيتها ما يساعدها قليلا وأجبرتها على ما يحفظها ، وعودتها على ما تحفظه ليحفظها ..

فقط لتتذكرنى دائما فى مراحل حياتها فتدعو لى ... "

***

" الحقيقة التى يصعب على الاعتراف بها هى أننى صعبة المراس كثيراً ، كنت لا أستمع لأحد ولا يقنعنى أحد سوى جدى .. كنت أستمتع كثيراً وأنا معه ، ألعب على مقربة منه وأجلس على قدميه وأستمع ، أستمع إلى مناقشاته وحكاياته ..

عندما أعطانى المجلد والورقة ، فرحت بهما كثيراً لأنى كنت أعلم بمدى أهميتهما لجدى .. لذلك أوصانى بهما ، وعندما قرأت الشروط بالورقه لم أفهمها ف البداية ولكنى نفذتها ، واغتظت كثيراً لأنى فضولية ولم أستطع فهم ما يرمى إليه جدى

بلغت من العمر اثنتى عشر عاماً ..وبفضل الله ختمت القرآن بتجويده على يد جدى ، وبعدها بشهر واحد توفاه الله ، ومن بعدها أصبحت صعبة المراس أكثر ، أسمع كلام والدىّ لأبرّهما كما أوصانى القرآن وأوصانى جدى ..

عندما بلغت من العمر خمسة عشر عاماً .. اضطررت أن أدخل إلى مدرسة مختلطه ولكن على تربيتى لم أكن أكلم أحداً من البنين إلا فيما الضرورى ، وبالحدود التى تربيت عليها ، كنت قاسية جداً معهم إلى الدرجة التى لا تجعل أحداً منهم يقترب منى ..

بخلاف زميلاتى فكنت طبيعية أضحك وأمرح،كنت أعتبر الحب تفاهة لا ضرورة لها .. لا أريدها ولا أفكر بها .. وكانت عندما تأتى صديقاتى لتقص على أمراً ما من ذلك ، كنت أقف أمامها لا أستطيع نصحها .. وكل ما أقوله لها ..

" عليك أن تتعلمى أن تتحكمى فى مشاعرك وقلبك " ..

أما صديقاتى فيقفن حائرات .. فمن ذا يستطيع التحكم ف مشاعره ؟!

عندما بلغت من العمر تسعة عشر عاماً ، كنت متشوقة جداً لقراءة المجلد ، فقط عاماً واحدا لأفتحه .. عاماً واحداً لأقرأ ذكرى من أهم الذكريات لدى من جدى ...

قمت بالكثير من المحاولات المستميته لأصل إلى مفتاح المجلد ، أو على الأقل لأعرف مع من هو ؟ ولكن دون جدوى ، لا أحد يعلم أو بالأحرى لا أحد يتكلم ...

دخلت إلى كلية " اللغة العربية " كانت رغبتى تلك الكلية ،لا يهم المجموع أين يوصلنى المهم لدى أكثر رغبتى .. بالطبع كانت الجامعه مختلطه أيضاً .. وأصبحت بسبب المشاهد التى أرها قاسية حد الحجر مع الشباب ..

حتى أننى ذات مرة ، جاء أحدهم ليتطاول على بالكلام ويتحدث عن مشاعره اتجاهى .. تلمست ف كلامه الكذب ،كما لو كان الكلام فيه رائحة كريهه ! لم أتحمل كثيراً فصفعته على خده ووقفت أمامه أتحداه أن ينطق بكلمة زائدة ، رأيت الدم يفور ف عنقه وقرر أن يرد إلى الضربة .. فلويت له ذراعه وصرت أكيل له الكلام ، أخبرته " أنه ليس معنى أننى أرفض التحدث مع الشباب أننى ساذجة،لا أفهم ألاعيب الشباب ، المسلم الحقيقى من ليس بخب ولا الخب يخدعه " ثم تركته وذهبت ...

فى ذلك الموقف .. تذكرت كيف كان مفيدا تعليم أبى لى الكارتيه منذ سن صغير .. وصرت أعشقه بعد ذلك .. فأحاول صباحاً قبل الذهاب إلى الجامعه أن أتمرن قليلاً ..

هذا الموقف جعلهم جميعاً يتعجبون منى حتى صديقاتى البنات ، فهيئتى لا تدل على ذلك أبدا .. فأنا أرتدى العباءات والأوشحة الطويلة .. أغض بصرى ولا أستخدم أبداً تلك الحركات .. ولكن حقاً ذلك الشاب استفزنى كثيراً .. كان يعتقد أنه هو من يستطيع الإيقاع بى .. وعلى حدّ قوله أننى كنت أنتظر أحداً مثله .. وأنا أكره ذاك المعتد بنفسه ..

أنهيت الموقف،لملمت كتبى وحاجياتى .. وذهبت وسط دهشة الجميع ...

لحقت بى صديقتى المقربة " ليلى " قائلة " ألا تلاحظين أنك قد بالغت ف ردة فعلك "

قلت لها " بل يستحق ! ولم أفعل إلا أن رددت له ما فعل ، كل ما يثير حنقى ف الموضوع أننى اضطررت أن ألوث يدى بوجهه ذاك ... حتى أننى قدر إمكانى حاولت أن لا تلمس يدى يده عندما لويتها له ... أعلم أنها زلة... ولن تعاد بإذن الله ... سأحاول أن أحافظ ع عصبيتى أكثر من ذلك ... "

غداً صباحاً سأتم العشرون وأخيراً ، ولكن ظل سؤال يحيرنى ... " تُرى من يملك المفتاح ؟! "

صليت ركعتين توبة واستغفرت الله وسبحت فى نوم عميق .. ولكن زارنى ذلك الحلم مرة أخرى .. " بوشاحى الأزرق الذى أعشقة أقف على بداية الطريق .. وأتساءل أى المفارق على أن أسلكه ؟! "

صبيحة اليوم التالى ، استيقظت قبل صلاة الفجر وصليت قيام الليل هكذا اعتدت أن أفعل قبل يوم مولدى لأبدأه بطاعة الله ثم جلست قليلاً أتأمل السماء ثم أذّن الفجر فصليته ... وقرأت وردى وأذكارى وغفوت قليلاً ، استيقظت فقبلت يدى والدىّ .. وهنئونى ودعوا لى تلك الدعوه التى أحبها " كل عام وأنت إلى الله أقرب "

ثم ذهبت إلى منزل جدى – رحمة الله عليه – وجلست أمام تلك النافذه التى تطل على البحر .. لطالما جلس جدى عند تلك النافذة ، اتجهت إلى البحر وملئت رئتى من نسيم البحر .. وتطلعت إلى زرقته التى تتناسق مع زرقة السماء ، لطالما تطلع جدى إلى ذلك المنظر وكان يعشقه كثيراً

ف تلك المنطقة الهادئه حيث منزل جدى ،لم أكن معتادة أن أرى أحداً فى تلك الساعه المبكره ، تعجبت عندما وجدت شاباً يقف هناك بلا حراك ! أبعدت ناظرى وتضايقت لأنى بذلك اضطررت أن أعود ... ولأن منزلنا ليس بعيدا عن منزل جدى ، قررت أن أعود سيراً إلى منزلنا وأستنشق عبير الصباح ف طريقى ..

وأنا ف طريقى سمعت أصوات أقدام تتبعنى ..فى بادئ الأمر اعتقدت أنها مصادفة .. ولكن ما زاد من مخاوفى أننى كلما دلفت إلى طريق .. سمعت الأقدام تتبعنى إليه !! قُبيل منزلى .. التفت لأوبخه ... وأحاول قدر إمكانى أن أضبط أعصابى لئلا أضربه !

استدرت إليه وقلت بكل جدية " هل هناك شئ ؟! لماذا تتبعنى ؟! "

لدهشتى رفع نظره بعد أن كان ملقياً به ع الأرض ، وابتسم ابتسامة سخرية ثم تابع طريقه ..

فتحت فاهى واغتظت كثيرا ، ووقفت قليلاً لأهدأ قبل أن أنفجر ثم تابعت طريقى وحاولت أن أزيح كل ما يزعجنى ، ووصلت إلى المنزل وطرقت الباب ، فتحت لى أمى وكالعادة صدحت بغناء الأناشيد التى كنت أدندن بها مع جدى

صرخت بى أمى وأشارت إلى أن اصمتى ولكنها كانت تفعل معى هكذا دائما بسبب انزعاجها من صوتى ، فاستمريت بالغناء حتى وصلت إلى غرفة الصالون .. وصمتُ من هول المفاجأه ..
كان ذاك الشاب المستفز يجلس مع أبى ،احمرّت خدودى كثيرا .. كان يبتسم تلك الابتسامة االمستفزه مرة أخرى فازداد احمرار وجهى ...

عرّفنى والدى إليه .. ولكنى لم أسمع اسمه أو ما كان يقوله والدى جيداً .. ولكنى ابتسمت ابتسامةً صفراء ثم استئذنت ولم انتظر حتى رد والدى ، حيث أننى كنت فى قمة حنقى ..

كنت أزرِع غرفتى ذهاباً وإياباً من شدة غيظى .. عندما طرقت أمى الباب وخبرتنى أن " حمزه " يريدنى ف حاجة له ..

فسألتها باستغراب : " من حمزة ؟ "

فردت أمى : " ذلك الشاب الذى عرفك عليه والدك قبل قليل ! "

فازدادت دهشتى وسألتها " " بماذا يريدنى يا تُرى ؟! "

فردت : لا أعرف...

نزلت إلى هناك والكثير من المشاعر تعتمل ف داخلى ما بين غضبٍ وفضولٍ وتعجب ...

دخلت الى الغرفه التى يجلس بها وفى عينى التحدى .. ولكن سرعان ما تلاشت لتحل بدلا منها الصدمة الشديدة ..

فقد قال لى بكل بساطة " إذاً أنتِ "سنا " ... أما أنا فشرطك "

رددت من ذهولى " نعم !! " .. ردّ " أنا ذلك الشرط الأخير الذى وضعه لك جدك .. "

بعد هذه الجملة كان الغضب قد بلغ منى مبلغه فوقفت وحاولت التحكم ف نبرة صوتى قدر إمكانى وقلت له :" لا أعلم من أين علمت بأمر الشروط .. ولكن لتعلم جيدا أنه ليس بالشئ الذى تستطيع الفكاهه عليه .. "

ثم استئذنت أبى ،وصعدت إلى غرفتى وأنا كلى حنق من هذا الشاب ، غيرت ملابسى وتوضأت وصليت ركعتين عل الله يذهب عنى هذا الغضب ،فالماء تطفئ نار الغضب ...

بعد أن انتهيت من صلاتى،طرق أبى الباب ودخل وأنبنى كثيرا على تصرفاتى .. وخاصة أنه ضيف وأنه إلى الآن لم يفهم سبب تصرفى ، اعتذرت لوالدى وقبلت جبينه إنهاء منى للموضوع ...

قبلنى والدى وابتسم ابتسامة عجيبة وأعطانى الظرف وأخبرنى أن " حمزه " هذا قد تركه لى ..

استئذن والدى وخرج وأنا جلست ع سريرى أحدق بذلك الظرف كثيراً ثم فتحته .. فوجدت خط جدى ف ورقة بداخل الظرف .. كُتب فيها ..

" أى بنيتى تُرى كم بلغت من العمر الآن ؟ أتخيلك وأن أكتب الآن لربما بلغتى من الطول الكثير بعد أن كنتِ قصيرة لربما الآن وجهك ينيره ذلك الوشاح الأزرق الذى تعشقينه .. لتعلمى يا حبيبتى أننى فخور بك ، فلطالما كنت نابغة ."

عند تلك الكملة انهمر دمعى ، وقفت فتوضأت وصليت ودعوت له كثيراً ،ثم أكملت قراءتى وهنا وقعت على الكلمات كالصاعقة ..

" أعلمى يا عزيزتى أن شرطى الأخير هو أن تخطبى لـ " حمزة " .. لمدة لا تقل عن ستة أشهر .. أعلم أنك الآن ف شدة غضبك وتذمرك .. فدائماً ما كنتى تكرهين أن يجبرك أحدهم على شئ ولكن لاحقاً ستعلمين أننى أحبك .. "

جـدك "

عندما قرأت تلك الكلمات صدمت لأننى أعلم تماماً مفهوم عائلتى عن الخطبة .. فالخطبة عندهم لا تستمر أكثر من شهرين ثم يجب أن يعقد القران ،ثم حضر ف بالى هذا الشاب كيف لى أصلا أن أطيقه أو أن أتصرف معه ؟! أنا حتى لا أعرف شكله فكيف بالطباع ؟! كما أننى لست ممهدة الآن لأمور الزواج تلك !!

ولكن هناك شيئا ما لا أفهمه .. كيف يريد جدى أن نخطب وشرطه أن لا نتزوج قبل أن أنهى المجلد ؟! مع العلم أنه يعلم تماماً نظام العائله وبالأحرى هو من وضعه !! جلست فى مكانى وقتها لا أستطيع الحراك ،قمت فصليت ركعيتن توبة ، ومن ثم ركعتين استخاره لأرى ماذا يمكننى فعله ف هذه المشكله ؟! .. ثم ذهبت ف سبات عميق ..

عندما استيقظت لصلاة الفجر كنت أشعر بالراحة،صليت وقرأت أذكارى ووردى غفوت قليلاً ثم استيقظت على صوت والدتى حينما قبلتنى وأخبرتنى أن هذا الـ " حمزه " هنا !! كانت أمى تبتسم تلك الابتسامة التى ابتسمها أبى

الآن فهمت ماهية تلك الابتسامة "هما إذا موافقان" تمالكت نفسى لئلا أفسد فرحة أمى البادية على وجهها وأخبرتها أننى سأذهب لأرتدى ملابسى ..

هبطت إلى الأسف ووجدته أمامى ، ابتسمت ابتسامتى الصفراء التى أصبحت الراعى الرسمى له .. وجلست .

سألنى " هل قرأت ورقة جدك ؟! " فأجبته " نعم .. لكنى لا أفهم .. "

ابتسم ابتسامة هادئة وقال " جدك لا يعنى أن ينهى شرط الزواج ، بل فقط عقد القران ،فإذا اتفقنا نكمل الزواج .. وإذا لم نستطع نفترق ؟! "

قلتها فى رأسى " إذاً فهى الحرب " وابتسمت لنفسى تلك الابتسامة الشريرة ...

وأفقت من شردوى على صوته يسألنى " إذا فما قولك ؟! " .. أجبته " لا أستطيع إلا أن أنفذ وصية جدى ، إذاً فالجواب نعم "

فابستم ابتسامته الساخره وقال " ولكنى لى شروط حتى أوافق " .. كدت أن أصرخ به .. وأردت حقا أن أبرحه ضرباً إلا أننى تمالكت نفسى ومن ثَمّ قلت له " وما هى ؟! " .. قال لى " أولا ": أن نعقد قراننا بعد شهر من الآن ...

ثانيا : أن تلتزمى بما سأقوله لك بعد العقد ما دمت أطيع الله فيكِ .."

ضغطت على أسنانى ولم أدعه يكمل .. ثم وقفت وقلت له ما دفعت نفسى لعدم التفوه به طويلاً .. " من تظن نفسك ؟ .. أنت حقا مغرور جداً .. إنك لا تطاق ولا أدرى حقا كيف أختارك جدى حتى ؟ .. أنت من بين جميع رجال العالم !! " ثم تركته وخرجت .. وظللت أسير بلا هدف وقتاً .. حتى اتجهت إلى منزل جدى .. جلست عند النافذه أتفقد البحر ولدهشتى .. كان هو واقفاً هناك .. لم يكن غضبى قد هدأ بعد .. فذهبت لأوبخه ..

ما إن وقفت أمامه حتى ابتسم ابتسامة هادئه وأشار إلى بالصمت وقال لى " أنا أسكن ها هنا .. وأشار إلى منزل بجوار منزل جدى .. ثم أردف قائلا " الشرط الثالث : أن تتحكمى ف غضبك "

كان يتكلم وهو ينظر إلى البحر .. أنهى حديثه وأكمل مشاهدته للبحر كأن شيئا لم يكن .. !!

تحكمت فى أعصابى وتذكرت جدى .. مما دفعنى لقول " نعم "

ابتسم وقال لى " إذا سأتفق مع والدك على التفاصيل " .. وعاد إلى صمته مرة أخرى ..

لو مكثت أكثر من ذلك لانفجرت غضباً .. فاستئذنته وذهبت ..

عندما عدت إلى المنزل، تحدثت مع صديقتى "ليلى " وألقيت إليها القنبله " ليلى .. قريباً ستكون خطبتى ! "

ولعلمها بتفكيرى كانت مصدومه ،فهى تعلم إن كان ولابد من الخطبة فليس الآن أبداً !!فسألتنى " سنا .. ماذا تقولين ؟! "

قلت لها " ليلى ، أنا لا أمزح .. خطبتى ستكون قريباً حقاً "

أمطرت علي أسألتها " متى ؟ أين ؟ كيف ؟! "

جعلتها تصمت وقلت لها : " عندما أراك سأخبرك بكل شئ " ..

قالت لى " إذاً ع الاقل .. أخبرنى بشكله كيف يكون .. ها ؟! "

فأجبتها قائله " لا أعلم .."

وكنت تماماً مذبهلة حتى من ردة فعلى واضطررت أن أغلق الهاتف معها سريعاً !!

ووقفت أتساءل .. كيف لم ألحظ شكله ؟! .. ولكننى كنت مغتاظه من الموضوع ككل .. كما أنه مستفز بشكل لا يصدق .. .. ثم ضحكت ضحكة سخرية وقلت لنفسى " لم يتسنى لى الوقت لأتأمل جمال سيادته ! "

نفضت الموضوع من تفكيرى ولكى أخرج كمية غيظى ..ذهبت إلى حيث غرفة الرياضة فى منزلنا .. وكان والدى قد قام بتعليق ذلك الكيس الذى يُضرب لتقوية عضلات اليدين والقدمين ..

ارتديت "السويت شيرت " خاصتى وارتديت قفازات اليدين واتجهت إلى الغرفة ،وما إن دخلتها حتى ظللت أضرب الكيس ولم أشعر بنفسى إلا بعد ساعة وأنا منهكه تماماً .. خرجت من الغرفه وأنا مغطاه تقريبا بعرقى ،رأتنى أمى .. فابتسمت وقلت لها " لا تسألى "

كنت اشتاق كثيراً إلى القراءة ،ولم يكن هناك من يبلل نهمى إلا الكتب ف مكتبة جدى، ذهبت إلى هناك وقبيل بيت جدى .. ظللت أراقب كاللص المتسلل فلم أكن أريد أن أراه ،وبالفعل تسللت إلى المنزل وسحبت إلى إحدى كتب جدى العتيقة العميقة ..

لم أجلس بالطبع عند النافذه التى تطل على البحر وإنما جلست ف الحديقة عند تلك الشجرة التى أعشقها ،كنت من حين لآخر أذهب فأسقى الحديقه .. ولكننى كنت أتعجب دائماً من بقائها بصحة جيدة وكيف أنها تبقى نضره هكذا !

جلست خلف الشجرة والتى كانت ظلالها تحيط بى واندمجت مع الكتاب كثيراً ،كنت أبحث دائماً فى كتب جدى عن القضية التى خلقت من أجلها .. عن كيفية أن أكون خليفة الله فى أرضه .. كنت أبحث عن طريقى أو بالأحرى كنت أنا من فى الحلم وأبحث عن أى المفارق على أن أسلك ؟!

وبينما أنا مندمجه فى أفكارى إذا بكمية مياة مندفعة تغرقنى ،أفقت من المفاجأه لأنظر ورائى .. من أين يصدر هذا الماء ؟! وإذا بهذا يقف أمامى ومعه خرطوم المياة وما إن رآنى وقد أغرقنى الماء حتى وقع على

الأرض من شدة الضحك ،وقام برمى خرطوم المياه على الأرض ! اغتظت كثيراً وقلت له " إذاً تظن أن هذا مضحك ! " وأمسكت بخرطوم المياه وأغرقته كلياً ،ظل يبتسم تلك الابتسامة الهادئة فألقيت الخرطوم ، وجريت إلى منزل جدى ، بحثت عن منشفة فلم أجد ، فقد أغلق المنزل منذ زمن ومن حين لاخر اذهب لأنظفه أو تبعث أمى بمن يقوم بتنظيفه ..

كان والدى ينويان بيعه ، إلا أننى رفضت وبشده ،كنت متعلقة تعلقاً شديداً بالمنزل كتعلقى تماما بجدى .. !

نسيت أمر المنشفه ما إن وقع ناظرى على المجلد والورقة .. كنت أحتفظ بهما هناك .. تلمستهما قليلاً .. ومن ثم رن هاتفى برقم أمى ، أجبتها " نعم أمى " .. أخبرتنى أننى تأخرت كثيرا ويجب على العودة ...

ذهبت إلى منزلنا مسرعة .. وصعدت إلى غرفتى وبدلت ثيابى ونزلت لأتناول معهم الغداء .

أخبرنى والدى أن " حمزة " قد تحدث معه وحدد معاد موعدا لمناقشة التفاصيل وهو غداً .. الغريب أن والدىّ لم يسألان عن رأيى وكأنهما يعلمان ما حدث .. هكذا استنتجت أنا !! .. أخبرنى والدى أنه يتوجب على الاستعداد غداً لمقابلة "حمزة " ...

أخبرت والدى " لقد رآنى مرة .. ثم هو قادم ليتفق على التفاصيل معك .. فماذا إذاً على أنا أن أقابله ؟! كما أنه يتوجب على مقابلة "ليلى " غداً "

نظر لى والدى نظرة صارمة وقال لى " يجب عليك ذلك " ...

ذهبت لأعتذر من "ليلى " بأننى لا أستطيع رؤيتها غداً .. وأخبرتها أنه قادم ... ويتوجب على البقاء فى المنزل ...

جلست قليلا أقرأ فى إحدى الروايات الرومانسية التى تعشقها "ليلى " .. أنهيت الرواية وضحكت ضحكة سخرية .. حقاً لا يمكننى تفهم كيف يمكن لفتاة ساذجة أن تجعل الحب يقودها هكذا "

توضأت وصليت ركعتين .. وقرأت الأذكار وذهبت فى سبات عميق ..

فى اليوم التالى .. أيقظتنى والدتى لأستعد وأنظف البيت .. كنت أكره جميع الأعمال المنزلية ولكنى كنت أنظف فقط براً بوالدتى .. قمت بتنظيف المنزل واستدعتنى والدتى لأساعدها فى الغداء .. ورغم جهلى التام بأعمال المطبخ إلا أننى وقفت معها .. ويا ليتنى ما فعلت !

ظلت والدتى تهنئنى وتخبرنى كم هى سعيدة .. وأنا ابتسم ابتسامتى الصفراء وأصمت

أخبرتنى والدتى أن أذهب لأستعد .. ضحكت وأخرجت لها لسانى .. أستعد ! وكيف هو الاستعداد ؟!

قالت لى " فقط أصعدى وأرتدى ما جهزته لك .. ..

صعدت إلى غرفتى ووجدتها قد جهزت لى .. فستانا أزرقا يتخلله اللون الأبيض .. وعليه وشاحى الطويل الأزرق الذى أعشقة .. ضحكت وقلت لنفسى " إذن هكذا يقومون بالاستعداد .. ! "

ولأن وشاحى الأزرق كان عزيزاً على .. قررت أن لا أرتدية .. فقط سأرتدى إحدى عباءاتى ووشاحى ... انتقيت إحدى عباءاتى وارتديت وشاحى ..

وما إن رأتنى أمى حتى كادت تصفعنى .. إلا أنها رأت ف عينى أننى لا أنتوى تغييره مهما حدث فصمتت ... وأخبرتنى أن والدى ينتظرنى بالأسفل .. أخذت نفسا عميقا وهبطت إلى الأسفل وألقيت السلام .. وتعمدت أن لا أنظر إلى هذا الـ " حمزه " أبداً .. كان معه سيدة عجوز ... عرفنى والدى عليها أنها جدته .. سلمت عليها واحتنضتنى ولكم كان حضنها حنونا .. كانت تذكرنى بجدى .. رحمه الله

أحببتها كثيرا وظللت أتحدث معها طيلة جلستهما وظل أبي يتحدث مع " حمزه " فى التفاصيل .. وقبل ذهابهما مسحت جدته على رأسى و دعت لى ..

أخبرني والدى بعد ذهابهما أن غداً سنذهب لشراء الشبكة .. فسألت بسخافة " وهل يجب أن أذهب معكما ؟ أنا موافقه على أيا يكن ما ستختارونه ! .. فقال والدى محذراً إياى " "سنا "" .. فقبلته وأجبته بـ " نعم " ..

فى اليوم التالى ذهبنا واشترينا الشبكة وأصرت أمى على شراء فستان وأصررت أنا على وشاحى الطويل .. وتحدثت مع صديقتاتى وأخبرتهن بموعد خطبتى وأخبرنا أقاربى وهكذا صرنا فقط ننتظر اليوم الذى سيقام به الحفل !

أصررت على عدم الذهاب للتزين .. وأصرت أمى على أن أتزين .. وكانت إحدى قريباتى بارعة ف ذلك .. فأصررت عليها أن تضع من كل شئ أقل كمية ممكنه وكنت أقوم بإزالة ما لا يعجبنى والذى هو غالبا كل شئ ! فى النهاية فهمت هى ما أعنيه فوضعت لى كمية خفيفة جداً من أشياء لا يمكن رؤيتها أصلا .. فلماذا أتزين وانا لا أريد ؟ كما أنه ما يزال أجنبياً عنى !

وبدأ الحفل وضربت الدفوف وألبستنى جدته الشبكة بين زغاريد صديقاتى وأقاربى وهكذا إلى أن أنتهى الحفل .. وكما المعتاد كان يجب أن يرانى " حمزة " فهو لم يرنى إلى الآن لأنى لم أخرج إليه أصلا كما أن الحفل كان منفصلاً ...

خرجت إليه وجلست معه فى الصالون .. ولا أعرف ماذا دهانى ؟! كان وجهى محمراً فحاولت أن أذهب عنى الخجل فشتت نظرى على أى شئ فى المنزل وسمعته يقول لى " مبارك " فأجبته " حسناً " فابتسم ابتسامة هادئة وقال لى " عندك لى هدية " فاستدرت إلية وأنا متعجبة " هدية ! " وكانت هذة المرة الأولى التى أدقق بوجهه ...

كان وجهه دائريا .. بشرته خمرية وعيناه سوداوتان وتعكس بريقا غريبا ....ورغم ابتسامته كانت بهذه العيون هذه النظرة المنكسرة ووجهة متناسق تماماً ... له لحية خفيفة وشعره ثقيل ناعم ... فقط كان وسيماً ..

حاولت أن أشتت ناظرى مرة أخرى لأى شئ آخر .. وفجأة أخرج لى سلسلة زرقاء رائعة ..ما إن رأيت السلسلة حتى استشطت غضباً وقلت له "أو تعتقد أنك يمكن أن تلبسنى إياها ... هذا مستحيل تماماً "

تعجبت كثيرا من ردة فعله .. فما إن قلت ذلك حتى بدأ يقهقه .. ثم قال لى بجدية " ظننت أن بيننا اتفاق ... الشرط الثالث .. " ثم أردف " أنا لا أريد أن ألبسك إياها .. دققى النظر جيدا قبل أن تحكمى على تصرفات أحد .. " ثم صمت وابتسم ..

أعطاها إلى فدققت النظر .. ثم فرحت كثيراً عندما أدركت أنها مفتاح مجلد جدى .. فشكرته وهببت واقفه .. فتعجبت وقال " إلى أين أنت ذاهبة ؟! " فأجبته بتلقائية " إلى بيت جدى " .. ارتسمت معالم الغضب على وجهه ولكنه رد بهدوء " الوقت متأخر ولا تستطعين الذهاب إلى هناك الآن .. كما أننى ما زلت جالسا هنا " ... فجلست مضطره وبدأ هو يتكلم عن نفسه ...

***

لندع حمزة يروى لنا ..

أنا " حمزة " ذلك الشاب المستفز السالف ذكره .. ذو الابتسامة الساخره .. أبلغ من العمر " تسع وعشرون عاما " هادئ الطباع إلى حد كبير .. من الصعب استفزازى .. أعشق البحر كثيراً وأعشق العمل الحر .. تخرجت من كلية الهندسة وعملت بالأسكندرية لأكون قريبا إلى جدتى والبحر ... وذلك بعد أن أنهيت عملى بالخارج وبعض من العمل هناك .. لم ابستم تلك الابتسامات الساخره إلا عندما رأيت عينان

"سنا " الزرقاوتان ولا أبالغ حينما أقول أنهما سحرانى .. ولكنى سخرت من نفسى .. كيف لى أن أسحر بتلك السرعة ؟! .. فانعكست تلك السخرية على شفتاى .. عندما رأيت احمرار وجنتيها .. صارت عادة لدى استفزازها ..

ما هى علاقتى بـ " سنا " وكيف وصلت إلىّ الورقة أو كيف عرفت بالشروط ؟ سأقص ذلك لاحقا

رغم أنها لم تضع الكثير من مساحيق التجميل .. إلا أنها كانت كالقمر ,, كان وجهها يشع حمرة وتريد أن تشتت نظرها كى لا يزيد خجلها .. ومن شدة توترها عندما قلت لها عن أمر السلسلة غضبت بوجهى .. قهقهت لأن توترها كان بالغاً جداً .. ومن ثم رسمت الجدية على وجهى وأفهمتها ...

رغم نبوغ عقلها إلا أن مشكلتها فى شغفها إذا ما ازداد شغفها بشئ فلا أحد يستطيع إيقافها ... غضبت إلا أننى تمالكت أعصابى لأنها لم تنتبه للوقت كان متأخرا ولكن فرحها الطفولى وشغفها البادى على وجهها بسبب السلسلة كان واضحاً .. مما زاد من هدوئى وابتسامتى ..

***

أنهى كلامه .. كنت أستمع إليه إلا أننى كنت أريد أن أذهب إلى المجلد سريعاً وأكره الاعتراف بذلك .. لقد كان محقا لا يمكننى الخروج الآن ...

سألته " من أين عرفت جدى ؟! وكيف علمت بالشروط ؟! وكيف وصلت إلىّ ؟! ... فابتسم ابتسامته المستفزه ثم قال لى .. الشرط الرابع " لا تسألينى عن هذه الاسئلة وسوف أخبرك بها عندما يحين الوقت "

***

رأيت وجنتاها قد احمرت وتطلقان شرراً .. ولكنها حاولت تهدئة صوتها وقالت لى " اتفقت معك على ثلاثة شروط فقط .. هذا كثير "

***

ابستم ابتسامة هادئة وقال لى " وها أنا أضيف شرطاً رابعاً الآن .. هل من اعتراض ؟! " ..

***

جزت على أسنانها وقالت " أبداً " ..

لم أستطع تمالك نفسى بعدها وقهقهت كثيراً مما زاد من احمرار وجنتيها ,, ولكنها بقيت جالسة ...

***

استفزتنى ضحكاته كثيرا ولم أستطع القيام لأن والدىّ وجدته كانوا يجاورنا .. فاحتملتُ بضع دقائق أخرى .. ثم استئذن وذهبا ..

صعدت إلى غرفتى وقمت بتغيير ثيابى سريعاً وارتديت السلسلة التى كنت أرتديها معتقده تماما أن هكذا سيكون جدى معى .. صليت ركعتين وأنا أقرأ التشهد .. استفزنى شكل الخاتم فى يدى .. نفضت الشيطان وأكملت صلاتى وبعد الانتهاء من الصلاة مباشرة خلعت الخاتم من إصبعى ووضعته فى المكتب .. ثم تنفست الصعداء ... جلست على سريرى أقرأ الأذكار واستغفر .. ولكن شيئا ما أرجع تلك الذكريات إلى رأسى .. كنت أتذكره وكيفية ابتسامته الساخره وكيفية حديثة المستفز .. استفزنى جداً وصارت الذكريات تدور فى رأسى كما مقطع أنشودة لا تريد ترك رأسك وشأنها !

ما كان أمامى سوى أن أرتدى " السويت شيرت " وأهرع إلى غرفة الرياضة .. ظللت أضرب ذلك الكيس وأتمرن على حركات الكارتية طوال ساعات وأمسكت بتلك الروايات السخيفة أقرأ بها قبيل الفجر ..

قمت فصليت ركعتين ودعوت لجدى كثيراً ولأنى أعشق سيرة سيدنا " عمر " وكنت أقرأ عنه كثيرا وكان جدى يحكى لى دائماً أمجاده – رضى الله عنه – فكنت أدعو " اللهم اهدنا هدياً كهدى عمر .. وارزقنا طريقاً كطريق عمر "

أذن الفجر وصليت وقرأت وردى وكنت منهكة تماماً فذهبت فى سبات عميق ... استيقظت كأنما سمعت صوت جدى ، نظرت إلى السلسلة وأمسكتها ... ارتديت ملابسى واستئذنت والدى وذهبت إلى منزل جدى ..

دخلت إلى المنزل مسرعة وهرعت إلى غرفتى وأمسكت المجلد ووضعت السلسلة التى كانت تشبة القلب فى المكان الخالى الذى يمثل القلب الخالى .. وانتظرت المجلد أن ينفتح إلا انه لم ينفتح !! حزنت جدا وتساءلت "ماذا ترانى فاعله ؟! "

وأنا فى شدة اكتئابى .. رنت " أمى " على هاتفى المحمول وأخبرتنى أنها قادمة هى وأبى لتزور " حمزة " و " جدته " لأنها قد أصابها المرض من جراء إنهاك البارحة ! فأجبتها بـ " نعم " ثم تضايقت كثيراً وصرت أحدث نفسى " وهل هذا وقت " حمزه " ثم ابتسمت وقلت " بل هذا وقت " حمزة " .. إن كان يعلم كل ذلك عن جدى وعن الشروط فهو بالتأكيد يعلم كيف يفتح المجلد ! "

مرت على أمى وأبى وذهبنا إلى منزل " حمزة " وسلمت على جدته .. وانتظرت أن يظهر " حمزه " ولكنه لم يظهر !

فهمت جدتى نظراتى فأخبرتنى أنه فى العمل .. ظهر الحزن على وجهى ... ظنوه بسبب أن " حمزة " ليس موجوداً .. حسناً ما هذا الهراء بأى حال ! قمت أتجول بالمنزل وذهبت إلى الحديقة وجلست فيها وجريت واستنشقت الورود ولم أدر بنفسى إلا وأنا نائمة وأسمع صوتا ينادى علىّ " سنا " ..

***

دخلت إلى المنزل وسلمت على " حماى " وقبلت يدى جدتى .. غمزت لى جدتى أن " سنا " تريدك .. ابتسمت لأننى الوحيد الذى أتوقع ما حدث معها ولِمَ تريدنى الآن .. سألت " أين هى؟ " .. فأخبرتنى أنها بالحديقة .. ذهبت إليها وكانت نائمة كالملائكة .. تضم مجلد جدها إلى صدرها .. ابتسمت وقلت " إذن توقعاتى صحيحة " غضضت بصرى وناديت عليها فأجابت بـ " نعم " واستفاقت ..هرعت إلى كالأطفال وابتسمت ابتسامة صافية ثم سألتنى وهى تضع يدها على المجلد " هلا فتحته لى ؟ " .. كدت أجيبها بـ " نعم " ولكنى أجبتها بجدية تامة " لا ولا قاطعة أيضاً " ظهرت علامات التعجب على وجهها " لماذا ؟! " نظرت إلى يدها وسألتها " أين خاتمك ؟! " فتلبكت واحمر وجهها وأجابتنى " فى المنزل " عندما وقع ناظرى على يدها الفارغة فكرت بترويضها قليلاً فهى تحتاج أن تتعلم أهمية الاشياء " إذن ماذا يفعل فى المنزل ؟! " ولأنها صعبة المراس أجابتنى وهى تحاول أن تضبط صوتها " وما دخل الخاتم بالمجلد ؟! "

***

آهٍ من تلك الابتسامة الساخره .. أجابنى " بل له دخل عندى ودخل عميق جداً وبسب إهمالك لن أفتحه لك إلا عندما أرى أنك أصبحت تدركين قيمة الاشياء " ...

***

احمرار وجنتيها صار شديداً أكثر .. ونظرت إلى نظرات تحدى ثم قال بغضب " أفق مما أنت فيه .. بلغت من العمر عشرين عاماً ولم أعد طفلة بالعاشره من عمرها .. ثم ما دخل الخاتم بالمجلد . لا أفهم "

رددت إليها نظرات التحدى وقلت " الشرط الثالث قد أخفقت به مجدداً .. إذن لن يكون فتح المجلد إلا بعد أن تلتزمى بهذا الشرط أيضا " ازداد احمرار وجنتيها وذهبت إلى الداخل ...

***

ذهبت إلى والدىّ وكلى غضب .. حمدت الله أنهما كانا على وشك الرحيل .. سلم والدىّ عليها وسلمت على جدته ولم أنظر إليه حتى لا يزداد غضبى .. وعدنا إلى المنزل ... ما إن دخلت حتى وضعت المجلد وهرعت إلى غرفتى .. توضأت وصليت وذهبت إلى غرفة الرياضة .. تركت ذلك الخاتم الابله وكنت مغتاظة كثيرا لأننى سأضطر أن ارتديه إن كنت حقاً أريد فتح المجلد !

ذهبت إلى غرفتى وارتديته ونزلت إلى أمى لكى أساعدها .. وحاولت أن أتناسى غضبى !! انتهيت من مساعدة والدتى وصعدت إلى غرفتى .. وقع ناظرى على المجلد وحزنت كثيراً .. كنت متشوقة كثيراً أن أبدأ به .. تذكرت موقف ذلك المزعج وحاولت أن أهدأ من نفسى قائلة " قد انتظرت عشرون عاماً .. ما ضرك لو انتظرت يومين آخريين ؟! " ابتسمت وحاولت تحسس السلسلة فى رقبتى ... إلا أننى لم أجدها .. بحثت عنها فى كل مكان ولم أجدها ؟!

فكرت فى الذهاب إلى منزل جدى كى أبحث عنها ولكن الوقت قد تأخر ووالدى قد خرج ... إذن سأضطر أن أنتظر الصباح حتى أذهب ... ظللت طوال سجودى أدعو الله أن أجدها .. ولم أستطع النوم فى بادئ الأمر ولكن من شدة إرهاقى غفوت !

استيقظت فصليت الفجر وقرأت أذكارى ووردى .. وحاولت أن أغفو قليلاً بعد ولكن كنت أنتظر شروق الشمس بفارغ الصبر وما إن أشرقت حتى خرجت مسرعة بعد أن استئذنت والدىّ .. قررت أن أذهب سيراً حتى بدأ توترى وقبيل بيت جدى ... سمعت صوت سمج كان يعاكسنى .. لم ألتفت إليه ولكن أخذ صوته يقترب فاستنتجت أنه يقترب منى .. كدت أن أستدير كى أضربه حتى يعلم أن ما فعله كان خطأ .. أما معى فالخطأ مضاعف .. كدت أفعل إلا أننى سمعت صوت هذا المزعج يقول لذلك السمج " هل تريد

شيئاً ؟! " فرد الاخير بسوء أدب " وما دخلك أنت ؟! .. فقال له " هذه خطيبتى .. ماذا تريد ؟! .. فقال السمج " هذه الجميلة خطيبتك ؟! كلكم تدّعون ذلك .. ثم ضحك ضحكة قبيحة "

واجهنى " حمزة " ووجهه قد احمر ولكنه ابتسم ابتسامة هادئة وقال لى " من فضلك اذهبى إلى المنزل " كدت أرفض إلا أن نظراته كانت أشبة بالتهديد وتذكرت الشرط فذهبت .. ولكنى راقبتهم من المنزل ولشدة دهشتى رأيت " حمزة " يضع يده على كتف هذا الشاب ثم ظهر التأثر على وجه الشاب ...ابتسم له " حمزه " وربت على كتفه وودعه وذهب !

رأيت " حمزه " قادماً فدخلت سريعاً .. وما إن طرق الباب حتى قمت بفتحه له ...

كان موارياً ظهره للباب .. وكان يقف على مسافة من باب المنزل ففهمت أنه يريدنى أن أخرج .. فخرجت ..

قال لى " وقفتنا فى الشارع هكذا لا تصح .. من فضلك لا تخرجى باكراً ثانية .. صمت قليلاً ثم أضاف ,, ضعى هذا ضمن الشرط الثانى " ثم هم أن يذهب إلا أننى أوقفته ولأننى كنت مغتاظه منه كثيراً قلت له " ما كان عليك أن تدفع عنى ذلك الشاب .. أنا كفيلة بأن أبعده عنى .. ثم إنى قادرة تماما على الاهتمام بنفسى .. وما دمت غير قادر على الضرب .. لماذا أبعدتنى ؟! ما الذى تحاول فعله ؟!

كان طوال كلامى رافعاً حاجبيه .. وما إن أنهيت كلامى حتى انفجر ضاحكاً .. ثم قال لى " أنا لا أحاول فعل أى شئ .. فقط لم يكن لدى مزاجاً للضرب !! " ثم ذهب ..

كنت أستشيط غضبا إلا أن ذهنى كان منشغلا بأمر السلسلة فدخلت إلى منزل جدى أبحث عنها وبينما أنا أبحث حتى طرقت رأسى بيدى "كيف لى أن أكون بهذه الغباء ؟! بالطبع فقد أضعتها فى حديقة "حمزة " ماذا على الآن أن أفعل ؟! " لا أستطيع أن أذهب إلى بيته سأحرج من جدته !! ثم إنه إن علم أننى أضعتها فسيسخر منى .. ماذا على أن أفعل ؟! .. وبينما أنا غارقة فى التفكير .. إذا بالباب يطرق ..

ذهبت لأفتح ... فوجدته واقفاً على بعد من الباب ..يوليني ظهره .. فخرجت له .. فاستدار لى ... عاقداً يده على صدره وعلى فمه ابتسامة لطالما استفزتنى .. ثم أخرج من جيبه السلسله أخدت تتدلى بين يدية قائلاً " إذن أنتى تبحثين عن هذه لتعلمى فقط أننى كنت محق فيما قلته لك " .. كدت أن أتكلم فأشار لى بالصمت وأعطانى السلسلة ثم قال لى بابتسامة هادئة " ستعترضين وستغضبين .. يمكن أن تفعلى ما تريدى ولكنى تأخرت عن العمل .. عن إذنك "

تركنى وأنا اتخبط ف الغضب "كيف له أن يفعل ذلك ، هذا المتعجرف المغرور !! "

ارتديت السلسلة وذهبت إلى البيت سيراً كى أهدئ من غضبى ..

***

عندما ذهبت إلى "سنا " وعائلتها .. عثرت على السلسلة .. كدت أنادى عليها إلا أنه التمعت برأسى فكره .." لم لا أعاقبها !! "

كنت أركض فى الصباح ووجدت ذاك الشاب ورائها وأدركت أنه يضايقها .. استشاط الدم فى عروقى وذهبت راكضاً إليها وعندما استغلظ هذا الشخص أبعدتها عن هذا المكان لئلا يضايقها .. ولكن كعقل أى فتاة الذى خربه الاعلام .. أننى سأنهال عليه ضرباً .. من قال أن المشاكل تحل هكذا ؟!

قال الحبيب " صل الله عليه وسلم " " ليس الشديد بالصرعه إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب "

وضعت يدى على كتف الشاب لأشعره بالأمان فعلى الرغم من فظاظته إلا أن عينيه كانت مليئة بالخوف والحزن والندم دعوت له بصلاح الحال وأخبرته بجمال العفة وكيف أن الله يعد له امرأته التى ستكون على

شاكلته فهل ترضى لها بذلك ؟! كما تدين تدان .. ظهر التأثر على وجه الشاب وهنا فرحت وابتسمت له .. فربما ساقنى الله إليه لينتزعه مما هو فيه .. وودعته ..

كنت أريد الإطمئنان عليها وكنت أعلم أنه لا يجوز الخروج معها أو أنفرد بها وكنت أريد أن أوبخها لأنها خرجت فى هذا الوقت المبكر ولكن علمى بحبها لهذا السلسلة منعنى أن أوبخها فطلبت منها فقط وابتعدت حتى أحضر لها السلسلة فكنت أتوقع أن تأتى ركضاً لتبحث عنها .. ولعلمى أنها ستحاول أن تبرر خطأها .. كان على أن أصدها ولأنى أصبحت مدمناً احمرار وجنتيها .. استفززتها فى بادئ الأمر إلا أن رؤيتى لخاتمى يزين يديها جعلنى أتوقف "

***

عدت إلى المنزل وأنا أستشيط غضباً ولكن حقا لا أعلم ما يحدث معى ؟! كيف لم ألحظ غياب السلسلة قبل ذلك ؟! دارت بعض الأيام وذهبت لمقابلة صديقتى "ليلى " وقصصت لها جميع ما حدث .. كان يظهر عليها علامات التعجب الشديد وقال لى " ما تقصينه على أشبة بالروايات ولولا علمى بفضولك وحبك الشديد لجدك .. لقلت أنك أبداً لن توافقى " .. ثم أراحت ظهرها وقالت لى بابتسامة " إذن وجدت من يروضك ؟! " اغتظت كثيرا وقلت لها "وهل تجدينى قطة تحتاج إلى ترويض ؟! " .. فابتسمت وقالت " بل نمرة شرسه " ثم قهقهت ..

فاغتظت وقلت لها " ما هو إلا إنسان ... " وقطعت كلامى وقلت لها محذرة " لولا أننى لا أريد اغتيابه لقلت عنه ما يستحقة " فابتسمت وسألتنى " وهل يتصل بك كجميع المخطوبين ؟! فقلت لها " لا بالطبع أنا لا أريد .. وهو لم يسأل .. وهذا أفضل " .. زفرت بضيق " هل سنظل نتحدث عن هذا الموضوع ؟! غيرى هذا الموضوع " ..

مر أسبوع كنت أرى المجلد وأحزن .. كنت حقا أريد أن أقرأ المجلد جداُ .. كنت أعتقد أننى سأجد ولو خيط رفيع يرسم لى بعضاً من الطريق .. كنت أؤمن إيماناً شديداً بذلك . "

بعد أن انتهى الأسبوع .. أخبرنى والدى أن " حمزة " قادم لزيارتنا .. كنت أتشوق جداً لتلك الزيارة بالطبع ليس من أجل رؤيته .. ولكنى كنت سأعصر على نفسى ليمونا وأطلب منه أن يفتح لى المجلد فقد أضنانى الشوق لكلمات جدى والجلوس بين يديه !!

حضر " حمزة " وجلس مع والدى حتى أتيت أنا .. تحدثنا جميعا ثم تركنا والدى وجلس بجانبنا .. ظل " حمزة " صامتا وأنا أحاول أن أخرج الكلمات من فمى ولا تخرج !! ... استجمعت قوتى وأخذت نفسا عميقا والتفت إليه وقلت له " ها هى السلسة فى رقبتى والخاتم فى إصبعى .. و ... و ... و ... و "

***

بدأت تتهته فى الكلمات وكنت أعلم تماماً ما تريد ولكنى رسمت على وجهى علامات التعجب .!!! حاولت أن تكمل وقد عقدت ما بين حاجبيها وقالت " وقد مر أسبوع بالكامل وأنا لم أنزع أياً منهما .. و ... و ... و "

كانت تشبة طفلة صغيره تحاول تجميع الكلمات ولا تسعفها اللغة .. فأشفقت عليها وقلت لها " اذهبى فأتى بالمجلد .. " فابستمت كمن ملك الدنيا وما فيها وهرولت وأحضرته لى وكان تنتظر وعيونها مليئة بالشغف .. قدمت إلى السلسلة ووضعت يديها أسفل ذقنها وعيونها معلقه بالمجلد ...

***

أعطيته السلسلة ولمفاجأتى .. وضع السلسلة موضعها فى المجلد وحركها بطريقة معينة ففتح المجلد .. وقال لى " هناك جزء صغير من هذه السلسلة قد كسر .. ولذا فيجب وضعها بطريقه معينة .. " فسألته " كيف عرفت ؟! وكيف استطعت فتحه ؟؟ " فابستم وقال لى " الشرط الرابع .. لم يحن الموعد بعد " ... صمت قليلا ثم قال " يتوجب على الذهاب الآن " ..

***

وقفت لأذهب وأدرت ظهرى وخطوت بضع خطوات .. ولكنها نادت على قائلة " بعد إذنك .. " فاستدرت إليها ..

كان حاجبها مرتفعا .. ثم ابتسمت ابتسامة هادئة وقالت لى " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .. هلا أعطيتنى السلسلة الآن " ابتسمت ونظرت إلى يدى وسلمتها إليها ... هذه المرة حقا لم أكن انتوى فعل أى شئ .. فقط نسيتها معى ...

***

ذهب " حمزة " فى وقت متأخر وكنت أريد أن أقرأ المجلد فى غرفتى التى أعدها لى جدى ... فآثرت أن أنتظر الصباح لأذهب إلى هناك ...

ما إن أشرق الصباح حتى استعددت للذهاب .. ولكنى تذكرت " حمزة " وأنا اعتدت أن أحافظ على كلمتى .. انتظرت قليلا ولما أصبح الشارع حياً .. ذهبت إلى هناك .. تسبقنى روحى ...

كنت حقا قد اشتقت إلى غرفتى ... إلى منزل جدى .. دخلت إلى المنزل وصعدت إلى غرفتى سريعا وجلست على السرير واحتضنت المجلد .. تذكرت جدى وفاض الدمع من عينى ولم أكن أستطيع إيقاف الدموع المنسابة ...

قمت فتوضأت وصليت ودعوت لجدى كثيراً .. عسى الله يتقبل منى ويعليه منازلاً فى الجنة ويحشرنا معا على حوض النبى " صل الله عليه وسلم " وفى فردوسه الاعلى .. قمت من صلاتى وسميت الله وفتحت المجلد وبدأت رحلتى ...

" عزيزتى "سنا " الآن وقد بلغت من العمر عشرين عاماً .. بالطبع أصبحت أكثر جمالاً ونضرة وأعلم أن أكثر ما يميزك براءتك التى تظهر جلية فى عينيك الزرقاوتين .. ترى أما زالت لديك تلك البراءة ؟! شئ ما بداخلى يخبرنى أنك ما زلت كما أنت .. صغيرتى – حتى وإن كبرت سأظل أناديك هكذا – لعل من أسرارى التى لا تعرفينها لماذا أسميتك "سنا " ؟! أسميتك "سنا " أى الضوء البراق الذى يلمع كلما اقترب الظلام .. الضوء الذى يسطع كلما كان الظلام حالكاً .. الضوء الذى يعيد للأمة بريقها كلما اشتدت عليها المتاعب .. ورغم أنه لم يكن لك دراية بهذا الأمر إلا أنك كنت دائما ما تبحثين وتسألينى ...

الان وقد بلغت من العمر عشرين عاما .. أعلم أنك متخبطة .. تبحثين عن طريق أم بالأحرى قضية .. تتقلبين فى تلك السن لتثبتى على هدف ، لطالما عشقت القراءة وكنت تواقه لها .. وكنت تنظرين بعينيك الصغيرتين تتطلعين إلى المكتبة وكنت أنظر إليك مبتسما وأقول لنفسى " ذات يوما ستكبر وتقرأ " وأعلم أنك فعلت ... وأعلم أيضا أنك قد نفذتى شروطى دون أن تدركيها تماما .. علك بهذا المجلد تدركينها ...

هذا المجلد ما هو إلا مذكراتى التى قضيتها رحالا أبحث علنى أجد .. نقيتها وكتبتها علها تفيدك كما أفادتنى . .. صغيرتى العزيزة هذا المجلد يعنى لى الكثير وأعلم أنه سيعنى لك أيضا الكثير

صغيرتى العزيزة .. عندما تقرأين ذلك سأكون بين يدى الرحمن وإنى لأرجو أن أكون قد توفيت على طاعة ... فهلا دعوت لى ؟ فأنا فى أمس الحاجه لذلك ؟! ومن منا ليس كذلك ؟!

صغيرتى لطالما كنت غاليتى .. أحبك كثيراً .. عسى الله أن يجمعنى بك فى جنته وفردوسه الأعلى .. فقط ليتقبل الله منا .. إلى لقاء قريب غاليتى ... " أليس الصبح بقريب "! "

جـــدك

انتهيت من قراءة الكلمات وكنت فى إذبهلال تام .. كنت أعلم أننى سأتأثر ولكن ليس إلى هذا الحد !! .. أغمضت عينى وتذكرت يوم وفاة جدى .. توفى جدى بُعيد الفجر .. بعد أن صلاه حاضراً فى المسجد .. كانت جنازته تعج بالبشر .. كان جدى رغم كبر سنه إلا أنه كان كما الشاب .. لا يتوانى عن أى فعل خير .. يجلس مع الشباب جلسات طوال .. يجمعهم من حوله .. يتضاحك ويمزح معهم .. يستمع إليهم .... كان يساعد الفقراء الذى ما اكتشفوا عمله إلا عن طريق المصادفة ... كان أحرص ما يكون على إخفاء عمله ...

أما الصغار فكان يلعب معهم بقدر صحته .. يوزع عليهم الحلوى .. يبتسم معهم ويداعبهم ... أما الشيوخ ومن فى سنه فقد كانوا على مقربة منه أيضا يتناقشون ويتفقوا أو يختلفوا .. منزله دائما ممتلئ بالناس .. يستمع ويفيد .. كان منزله تجمعا للأمة بجميع أعمارها ... كان يحافظ على الصلوات فى المسجد حاضرة .. ليس ذلك فقط كان يجلس فى انتظار الصلوات ... فى رمضان كنا لا نراه إلا قليلاً .. يقرأ القرآن فتبتل لحيته .. يصلى قيام الليل كاملاً .. ويعتكف .. بل وأحيانا يصلى بالناس ..

لعل الكلمات لا تسعفنى لأوفية حقه .. ولكن أتذكر ابتسامته وطيبة قلبه الظاهره وصدق حديثه وحسن خلقه .. كان جدى لآخر عمره يغض بصره !!! .. لطالما كنت تلك الصفه أكثر ما يميزه ... رحمة الله عليك يا جدى ...

فتحت المجلد مجدداً .. وكان الفصل الأول ... عنوانه مكتوباً .. ولكن هذا الفصل بالتحديد .. كان جدى قد رسم به رسمة راااائعه ... كان ماهراً بالرسم ومزج الألوان .. لذا فمنظر الصفحة كان بديعاً ..

كان أسفل الصفحة .. لون أصفر وجبال كما لو أنها صحراء .. نعومة رمالها بادية فى الرسمة..

فى نصف الصفحة كان جمال المنظر فائقا .. خضره وسحاب وطيور ...

فى أعلى الصفحه .. لا أعلم كيف توصف ؟! .. لعلها ظلمة يخرج منها قمر لا يظهر منه سوى هالات تدلك على القمر .. ولكن ويكأن القمر يكافح للظهور !! .. فيظهر تارة وأخرى يختفى .. !!

على جانبى الصفحة علامات استفهام وأسئلة كثيره أمثال ...

هل ؟ متى ؟ كيف ؟!

إمضاء جدى كان يزين الصفحة أسفل الصفحة ... ووجه لا تدرى حزين هو أم سعيد ؟!!

***

الفصل الأول :

" الإسلام " ...

عمرى الآن عشرون عاماً على متن مركب أكون الآن .. استئذنت والدى أن أذهب لأبحث عما لا أعرفه علنى أجد ما أريد أو علنى أجد نفسى !! .... اخترت أن أرتحل بحّاراً لأننى أعشقه .. عميقة مياهه ، عميقة أسراره ..رغم ضوضاء أمواجه إلا انه هادئ وكأنه ينتظر !!

على متن المركبة تشعر ويكأنك فى مدينة من المدن ، فالمركب ليس كبيراً إلا أنه سياحى ففيه من أصناف الناس كثيرة ... رغم أنواع البشر العديدة إلا أنه كان هناك شاباً يلفت ناظرى ، بل يلفت أنظار الناس جميعاً ، يبدو أنه فى عالمه الخاص دائما ممسكاً بكتاب أو مصحف ، يجلس فى ركن هادئ يهيم بعيداً عن المركب لدرجة أن انفصاله عن المركب كان بادياً على قسمات وجهه

كان ممشوق القامة ، يغض الطرف هادئ الملامح .. أسود الشعر والعينين .. وجهه يشع نورا غريبا كالبدر فى صفحة الليل ! كان أحيانا يخرج على صفحة المركب ويظل ينظر إلى البحر طويلاً ثم يتنهد ويدعو الله ، كانت وقفته تُشعرك ويكأنه فى السماء .. كنت أشعر أنه لغز كبير .. فقط أتمنى اكتشافه !

ذات ليلة رأيته فى منامى يشير إلى أن اقترب ، وكان مبتسماً ناصع البسمة ، استيقظت من نومى وكان وقت الفجر قد اقترب فقررت أن أخرج على سطح المركب أستنشق الهواء الطاهر ، وما إن خرجت حتى سمعت نحيباً فتتبعت الصوت حتى وصلت إلى مصدر النحيب ، كان هو !! واقفا يدعو الله ويبكى بكاءاً شديداً ، شيئاً ما وقع فى قلبى جعلنى أسرع فأتوضأ وأصلى خلفه ، وتمكنت من اللحاق به فى ركعته الثانية ..

عندما بدأ فى القراءة بكيت .. كان يقرأ قوله تعالى " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " .. كان صوته لا يوصف ..، يقرأ فتشعر أن ثمة ما يلمس قلبك ويزيل عنه طبقته العازله ! أكمل تلاوته وأنا أبكى ، أحاول أن لا أصدر صوتاً من بكاءى ، أكمل حتى نهاية السورة الكريمة ثم ركع فركعت .. قام من ركوعه ودعى فقال " اللهم إنى ضعيف فقونى ، اللهم إن شيطانى يحاول أن يغلبنى فأقاوم ، اللهم اهدنى طريقا كطريق عمر .. اللهم إنى لا أريد أن أكون عبأ على أمتى فاللهم هداية .. اللهم صلاحاً .. اللهم إخلاصاً لوجهك الكريم اللهم إنى قد عصيتك فعفوت ، اللهم عصيتك فسترتنى وجملتنى فى عيون خلقك .. اللهم إنى أتوب فأعود فأتوب فأعود .. فهلا توبة دائمة لا يعقبها ذنب " ثم دعا بدعاء الرسول وعلا نحيبه " اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو مكلته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى غير أن عافيتك هى أوسع لى .. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخره ، أن يحل على غضبك أو أن ينزل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى .. وظل يردد تلك الجملة ويبكى وينتحب وأنا أبكى وأنتحب .. يعلو صوتى فى البكاء مع كل

ترديده .. كنت أشعر أن شيئا ما يمنعنى من إيقاف البكاء ! كنت أشعر كما لو أن البكاء يغسل عنى هموماً ، ظللنا على تلك الحالة كثيراً حتى كبر وسجد وأطال السجود وماعلمت بما أدعو فى السجود غير انى أبكى !! أنهى الصلاة وابتسم لى وقال " عرفت فالزم " كان وجهه منيراً رغم الظلام الذى يحيط بنا .. ثم ابتسم وقال لى " وهل رأيتنى فى منامك ؟! فتعجبت وقلت له " نعم ... ولكن كيف عرفت ؟! " فقال لى " رأيتك فى منامى أيضا " ثم أردف وقال لى " بعثك الله لى " فابتسمت ... واستئذنته أن أرافقه مدة أسبوعٍ فوافق على أن لا أسأله عن أى شئ يأمرنى به مادام فى طاعة الله .. حتى يحين الأوان !! " فابتسمت وأشرت له بنعم .. ودخل علينا الفجر فقام بالنفخ فى البوق كى يوقظ أهل المركب للصلاة وطلب منى أن أؤذن ثم أم الناس بصوته الرائع ، ثم جلس يذكر الله ويقرأ القرآن حتى الشروق وفعلت مثله !

ثم قال لى " سأخلد إلى النوم قليلا وأنت أيضاً عليك ذلك "ثم ذهب فذهبت وخلدت إلى النوم وكأنى لم أنم منذ قرون حتى استيقظت على صوت بوقه يدعو الناس إلى الظهر ويؤذن بصوته الحسن ، توضأت سريعاً وذهبت إليه ، صلينا ثم رأيته يبحث عنى بعينيه فأتيته ، سلمت عليه فرد السلام ثم ابتسم وقال لى " علينا أن نعيد ترتيب وقتك يا فتى " فخجلت منه وقلت له " سأعمل على ذلك إن شاء الله : ثم رسم على وجهه الجدية التامه وقال لى " عليك أن تقرأ قصة الخضر فى صورة الكهف ثلاث مرات على سطح المركب ،وبين كل مرة ومره انظر إلى البحر مطولاً " ثم قال " ميعادنا فى اللقاء بعد العصر إن أذن الله " فعلت مثل ما قال لى ، انتهى الوقت وكنت مستغرقا فى نظرى إلى البحر وأعيد تلاوة الآيات على مسامعى حتى أيقظنى من شردوى بصوت بوقه من جديد وصوته الذى صدح بالآذان ، ذهبت إليه فرحاً وكدت أن أخبره أننى انتهيت إلا أنه استوقفنى بإشارة من يده ، وهم بالصلاة فصلينا .. بعد الصلاة استدار لى وابتسم ثم قال " هات ما عندك " فابتسمت وقلت له " الصبر " ونفسى تحدثنى أن كل إنسان يقرأ القصة يعلم ذلك !! فابتسم وقال لى " فقط !! " فأشرت له برأسى أن نعم .. فقال لى " حسناً

عليك فعل ذلك مجدداً حتى آذان المغرب أما الآن فقم بعمل تمرين الضغط عشرة مرات " تعجبت واعتقدت أنه يمزح إلا أن ملامحه لا توحى بذلك ، لم يكن لدى من العضلات ما يعيننى على فعلها ولكنى فعلت .. أتممت المره الخامسه وكنت أموت ، إلا انه أصر أن أكمل فأكملت حتى أصابنى الإنهاك الشديد ، فابتسم وقال لى " الآن اقرأ الأذكار واذهب "

جلست مجددا لأقرأها وأتساءل " ترى ما بها من جديد على إدراكه ؟! "

نعم الآن قمت بالتركيز على القراءه والقصة ، أما السفينة فلابد أنهم قد بذلوا ما بوسعهم وتوكلوا عليه تعالى ، فبعث الله إليهم بالخضر ، وعندما ثقب الخضر السفينة ، ظن سيدنا موسى " عليه السلام " أن الخضر يفسد السفينة بَيْد أنه كان يحميها !! إذن فليس كل ما يبدوا للمرء صحيحاً فرب ضر ظاهر يخفى نفعاً كبيراً !!

كذاك الامر بالنسبة للوالدين الذى قتل الخضر ولدهما ، رب ضر ظاهر يخفى نفعا كبيراً ، وأما بالنسبة لليتيمين فماذا فعلوا يا ترى كى يبعث الله إليهم من يبنى الجدار ؟! نعم الشرط فى الآيه ظاهر " كان أبوهما صالحا " .. الصلاح !! ليس بالأمر اليسير !!

ما لفت ناظرى أيضاً أنه فى بداية الآيات ، ذكر الله تعالى أن أهل تلك البلدة رفضوا أن يكرماهما ، ورغم ذلك أقيم الجدار ! عندها سألت نفسى " ماذا لو كنت بذلك الموقف ؟! " لاحتجت إلى مجاهدة لنفس لأغلبها فأقابل الإساءة بالإحسان ، وإن الأمر غاية غاية فى الصعوبة بل وهو قمة الإختبار النفسى !!

كنت أبحر مع الآيات حتى سمعت صوته يشدو بالآذان ، توضأت وصليت ثم أخبرته بما استخلصته ، فابتسم ثم قال لى " عرفت فالزم " ثم أضاف " إن هذا هو أول الأمر إنك كلما أبحرت مع آيات القرآن لوجدت معانى مختلفه ، حقا إنه معجز " بعدها قال لى قم الآن بتمرين عشرة ضغط ، تخطيت الخمس الأول وأصبت بالإنهاك غير أنى تحاملت وأكملت ، انتهيت وجلست معه أتأمل البحر ، كنت أهم بالكلام

إلا أنه أشار لى بالصمت ، جلسنا هكذا حتى وقت صلاة العشاء فطلب من أن أؤذن فأذنت ، وأعطانى البوق ثم وقفت أنتظر فى الصف الأول انتظر الصلاة ، ولكنه أشار لى أن أتقدم لأؤم الناس فهممت أن أرفض إلا أن نظراته كان معناها أنه أمر ، فذهبت لأصلى بالناس فقرأت قصة الأخضر فى الركعتين وكنت أشعر بالآيات جداً ، أكملت الصلاة وما إن انتهيت حتى أخذ أستاذى يربت على كتفى وابتسم لى ، ثم أمرنى أن أقابله قبل الفجر بساعة ثم ذهبنا إلى النوم ، استيقظت وتوضأت وصعدت على سطح المركب وإذا به يصلى ومستغرق فى صلاته وأوقن تماماً أنه لم يشعر بى ، حضرت فى الركوع من الركعة الأولى وما إن دخلنا الركعة الثانية حتى انخرط فى قراءة سورة الكهف ، لم يكن صوته يختلف عن المره السابقة ، ما زال يلمس شغاف قلبى ويطرق عليه كما من يحاول فتحه !! ركع ورفع من ركوعه وبكى وانتحب وأنا كذلك حتى انتهينا ، فاستدار لى وابتسم ، كان يرتدى جلباباً ناصع البياض ، وقف وخلع جلبابه وكان يرتدى زيا رياضيا ، استعد ليهاجمنى فحاولت صد ضرباته إلا أنه غلبنى ببراعه !! وقال لى " ما زال أمامك الكثير .. قم فافعل تمرين الضغط عشر مرات " قمت وامتثلت لأمره ولكنه هذه المره فعله معى مما شجعنى كثيراً ، انتهينا وسألنى " أتحفظ كتاب الله كاملاً ؟! " فابتسمت وقلت له " بل يحفظنى " فاتسعت ابتسامته وقال لى " إذن اقرأ على سورة يوسف ، فقرأت وقرأت حتى استغرقت تماماً فى القراءة وصارت عينيه تدمع فكدت أن أتوقف إلا أنه أشار إلى أن أكمل ، فأكملت حتى انتهيت ، جلسنا معا نتأمل البحر فقلت له " أعلم أنك فى الثلاثين من عمرك ولكنى إلى الآن لا أعلم ما اسمك !! " فابتسم وقال لى " وما نفع الأسماء يا فتى إن كانت العقول فارغه ! ،وما نفع اسمى إن لم تتعلم منى شيئا ! تذكرنى بعلمى وعملى ولا تذكرنى باسمى ، فإن الأسماء تذهب وتأتى ! " قلت " حسنا ، صمت أتأمل البحر فى هدوء ...

وهكذا استمرت أيامى معه ، تدبر للقرآن وإخراج معانيه بنفسى ، التدريب رياضياً .. صلاة وذكراً لله .. فيما بعد أخبرته أن أسمى " خالد " فابتسم وقال لى " خالداً وما خالد إلا سبحانه .. وماذا تعرف عمن سميت باسمه ؟! فقلت " أتقصد سيدنا خالد بن الوليد ؟! قال " نعم " ، أخبرته عن أنه سيف الله

المسلول وعن دوره ف الغزوات وعن دهاءه ، حتى فاجأنى بسؤال " وأين أنت منه ؟! ماذا حققت من نصيب الله لك فى اسمك ؟! " ظللت أسأل نفسى " نعم ماذا فعلت ؟**1** "كان ذلك السؤال يطرح على من عقلى الباطن كل مرحلة من مراحل حياتى ..

فى إحدى الأيام تأخر معلمى – رغم صغر سنه – إلا أننى أقولها بصدق ، تأخر ولم تكن عادته .. ذهبت لأبحث عنه فوجدته بثياب بحار ، كان القبطان !! قبطان المركب لم يقل ولم أعرف !! وجدته مبتسما لذلك الرجل العجوز الذى يضاحك ويحمله على ظهره ! حتى أوصله غرفته ..كانت صدماتى كثيرة فتوقفت مكانى لا أتحرك حتى رآنى فاحمر خجلاً ، ثم قال بنظرة متحدية " من يقيم الصلاة ؟! " فقلت " لا أحد " فغضب وظهر على وجهه إلا أنه تبسم وقال " يا خالداً لا تؤخر الصلاة .. كن قائداً ، أنت إمام فكيف تجعل الناس من دونك ، كن بوصلة الناس إذا ضاعوا ، هلم بنا نلحق الناس "

كانت الأسئله تعج برأسى " إنه قبطان !! كييف؟!! والرجل العجوز !! " إلا أن الأيام التالية جعلتنى أتعجب من ذلك الفتى أكثر ، يلعب مع الأطفال ويوزع عليهم الحلوى ، وإذا رآه طفلاً جرى عليه واحتضن قدمه فيرفعه ليحتضنه ويلعب معه !! كان إذا مر بفتيات غض بصره ، كان يداعب العجائز وكبار السن ، كما لو أنه يريد إدخال السعادة على قلب كل من يلتقيه ! صغير السن كبير العقل نقى الروح ، وهذا أقل من وصفه !!

فى آخر الأسبوع جلس معى وأوصانى " يا فتى : إذا أردت أن تسير على هدىً من الله ، وإذا أردت أن تجعل قضيتك لله وإذا أردت أن تعرف أين طريقك ؟! ومن أنت ؟! فعليك بهذا وأشار إلى المصحف ، وإذا أردت أن تبدأ رحلتك فلتبدأ بعمره ، ولتبدأ رحلتك بطاعة الله ، إذا أردت أن ترتاح فى حياتك فعليك أن تحافظ على فطرة الله لك ، وعليك أن تنقى قلبك دائماً ولتعلم أن كل أمر مرده لغير الله زائل !! ولتجعل الصلاة وطاعة الله والإخلاص له قِبلتك فى كل شئ ، ولتعلم يا فتى أن كل ما كان لله دام واتصل .. ولتعلم أنك تمثل الإسلام بذاتك ، فلا تجعل للناس حجة على الإسلام منك ! ولتعلم أن

حسنات الأبرار سيئات المقربين ، يا فتى ارض الله يرضى الناس عنك ولن تحتاج رضاهم بعد رضاه تعالى ، ولتعلم أن المعصية رغم لذتها اللحظية فإنها تكدر بعدها ، وإن كدرتها تظهر بعد أيام ، ولتعلم أنه بكل عمل طالح ينقط الله بقلبك نقطة سوداء ، فتب يزيلها الله عنك بإذنه ، حذارى أن يصير قلبك أسوداً كاملاً فيصير سيّان الطاعة والمعصية ، يا فتى إذا أردت أن تبحث عن طريقك تذكر ثلاثاً

قال تعالى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " ، قال تعالى " إنى جاعل فى الأرض خليفة " ، وقال تعالى " رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه "

يا فتى إن الظلم مقدرة ، والسلطة مقدرة ، ولكن قدرة الله أعظم ، فإياك أن تستعظم قدرتك ويغريك بها الشيطان ، إن دعوة مظلوم فى جوف الليل قادرة أن تزيد همك !! قادرة حتى أن تنهيك !! يا فتى اتق الله ، وأحسن يحسن الله إليك ، يا فتى أحسن يحسن الله إليك ، يا فتى أصلح تُصلح واحيا تُحيى ,, ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنه ، يا خالداً إذا أرد أن تخلد فى القلوب فعليك بتقوى الله وذكره ، ولتدعو الله أن يجعل لك من اسمك نصيباً ، ولتغض بصرك عن محارم الله يغض الله بصر الناس عن محارمك ، ولتجعل القرآن بوصلتك ، فاحفظه بقلبك يحفظك "

ثم أضاف " أما عن الأسئله التى تدور فى عينيك فأنا أدعى " نور " ونعم أنا قبطان ، إن العمل يا بنى تكليف وليس تشريف ، وإنى أحاول أن أحفظ قلبى من الغرور حتى لا يدخل لى الشيطان من هذا المدخل ... " ثم غمز وقال لى " المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف "

دمعت عيناى وكنت بالفعل نويت قبلها أن تكون بداية رحلتى " السعودية " كنت فى حاجة إلى تطهير نفسى وسألته " هل سنلتقى مجددا ؟! " فأجاب مبتسماً " إن قدر لنا "

وصلت السفينة إلى حيث قررت أو أقول قدر الله لى أن أحط رحالى ، فودعته .. ومسح على قلبى ودعى فقال " اللهم إنى أشهدك أنى أحبك فيه ، فاجمعنى اللهم به فى فردوسك وإن شئت على أرضك ! "

رغم عدم معرفتى بـ " نور " جيداً وقد كان اسما على مسمى ، إلا أننى رأيت معانى الإسلام فيه ، ولا أزكيه على الله أبداً ، كان لا يغضب لنفسه أبداً ، كان صبورا وتقياً كأنه نور الإسلام ، أوصانى أن أدعو له كلما مر بخاطرى وظللت أدعو له دائماً ، فقد رزقنى الله إياه ، ليدلنى على الطريق "

ختاماً من أنا لأتكلم عن الإسلام ؟! الإسلام ليس كلمة ,. الإسلام وقر فى القلب يتبعه عمل ، الإسلام جهد لا ينفذ وعمل لا يقاوم ، وقلب عامر وزهد فى الحياة فى مواضع الموت ، وحب فى الحياة فى إرضاء الله ..

الإسلام جميع المتناقضات السوية ، حب الموت وحب الحياه ، حب النور وحب الظلام ، حب الخير أن تفعله وحب الشر – تظنه كذلك – إن أتاك ، حب العمل وحب الراحة ، وغيرها من المتناقضات التى مردها إلى طاعة الله ...

فى النهاية "كن إسلاما يمشى على الأرض .. فلعل الأمة تتقدم على يديك أنت "

انتــــــــهى

***

استيقظت من استغراقى فى القراءه ولا أعلم كم بقيت على تلك الحال ؟! استيقظت على رنة أمى قائلة " سنا " تأخرتى!! هيا تعالى " ارتديت السلسله وأغلقت المجلد ووضعت الورقة تميز مكان انتهائى من القراءة ولم أغلقة كثيراً فأخاف أن لا يفتح مرة أخرى ، فأنا لا أحتاج إلى إزعاج من جديد !!

عزمت أن أعود غدا باكراً لأكمل ما بدأت ، قررت أن أسير إلى المنزل وظللت أعيد قراءة المجلد فى ذاكرتى ولكن عقلى توقف عن وصف " نور " .. شيئاً ما جعلنى أتذكر " حمزه " لا أعلم لم ؟! ربما لتشابهما .. كلا الوصفين متشابهين إلى حد كبير !!

وصلت إلى المنزل وقبلت والدىّ وصعدت إلى غرفتى وصليت وغفوت على سريرى ، سرحت بخيالى فى المجلد وأتذكر قيام الليل على السفينة ، حيث لا يفصلك عن السماء فاصل ، حيث الليل يحيطك إلا من قلبك المنير بذكر الله ، واستغرقت ف النوم ، رأيت فى منامى " حمزة " وهالة من الأنوار تحيطه ، يشع ذلك النور على وجهه ، وكانت ابتسامته ساحرة ، وبدى وكأنه ينتظر ! "

أفقت من نومى وكان وقت الفجر ، صليت ركعتين ثم جلست لأقرأ قليلاً من القرآن وكان من رسائل الله لى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " إذن ما زال على الاجتهاد والبحث أكثر .. أذن الفجر فصليته وقرأت أذكارى ونمت ..

فى الصباح الباكر جهزت الفطور ، وتناولته مع والدىّ وإذا بأبى يحادثنى " "سنا " بقى قليلاً على عقد القران ، وهنالك الكثير من التجهيزات التى يجب أن تتم "

رددت بابتسامة " أى عقد قران ؟! .. " نظر لى والدى نظرة صارمة فقلت " حسناً .. أفعلا ما يجب فعله وأنا موافقه " قال والدى " يجب أن نذهب جميعنا و" حمزه" أيضا " وافقت على مضض وقلت " حسنا .. ولكن ليس اليوم ، ولم أدع لهما فرصة الحوار وقلت لهما " أذهب الآن .. سلام الله عليكم " ، ظللت وأنا خارجه أتأفف " ما كان ينقصنى إلا التحضيرات "

وصلت إلى منزل جدى ، وكنت قد اشتقت للبحر كثيراً ، فجلست على مقعد جدى الذى كان يتأمل منه البحر وظللت أنظر إلى أمواجه التى تعلو وتهبط ، ومن ثم تصبح كأن لم تكن على الشاطئ ! قفز إلى أول

مره شاهدت فيها " حمزة " وتساءلت " أين هو ؟! " وكدت أن أقوم من مكانى إلا أننى نظرت بالساعة وعلمت أنه بالتأكيد سيكون فى عمله فاطمئننت "

زرقة البحر تأسرنى ، أعشق زرقة السماء التى تتوافق مع زرقة البحر ، هدير مياه البحر يطربنى ، لا أعلم مذا يحدث لى عندما أستنشق هواء البحر ، كأنه إدمان مهما استزدت منه لا أكتفى ! أشعر كما لو أننى فى عالم آخر ، ذلك الطرب يغلق أذناى عما سواه ، وتلك الزرقة تعمى عيناى عن غيرها ، وهدير المياه يجعل قلبى يغرد فى عالم آخر !

هكذا أحدث نفسى كلما جلست أمام البحر ، عشقى يزداد له لكما جلست معه وتحدثت إليه ، بحروف لا تقال وكلام لا يسمع ، مريضة أنا بالبحر ولا أريد الشفاء !! .. بما أن الجو آمن فلنكمل قراءة المجلد على هذا المقعد الذى استشعر فيه جدى ، أمام البحر ..

فتحت المجلد على الفصل الثانى .. وكان جدى قد زين الصفحة برسم رمال صفراء يزينها آثار أقدام ظاهره .. تمتد على مد البصر ،وفى أقصى الصفحة الكعبة وقد رسمها بدقة متناهية ، كما لو أنك تراها ، وفى أعالى الصفحة قد رسم سماء واسعة شديدة الزرقه فى الليل ، كان مبدعاً فى رسمه – رحمة الله عليه – وبلون أحمر قد كتب بالخط الكوفى عنوان الفصل التالى ...

***

الفصل الثانى :

" شوقاً إليـك " ...

مركبى كان يمر بالسعودية وبعدة مدن أخرى ، كانت هى محطتى منذ البداية وزادنى إصرار قول " نور " لى ، أرست المركبه مرساها وجمعت أنا حاجياتى وودعت " نور " وودعت المركب وجزء من امتنانى لبداية حياة كنت أبحث عنها

ما إن وطأت قدماى الأرض وتنفست الهواء ، هذا الهواء الذى ملأ رئتاى هذه المره مختلفاً !! ربما لأول مرة أشعر بأن الهواء يحيىنى وربما أيضاً لأول مرة أشعر أن الهواء مهماً للحياة !! كالذى حُبس نفسه فلا يستطيع ملأ رئتيه بذرة هواء ، ثم خرج إلى كون فسيح فاستنشق أكبر قدر ممكن من الهواء ليحيا !! كمن ضاقت به الحياة ثم فُتحت على مصرعيها !! ... ظللت واقفا فى مكانى مدة اشتياق القلب يغمرنى وهواء الحياة يحيىنى وأنا أستنشقه فقط !!

عزمت أن أذهب إلى مدينة رسول الله أولاً ، فارتحلت إلى المدينة وقبيل دخولى وقفت أتذكر كيفية دخول الحبيب " صل الله عليه وسلم " ، وكيف عُذّب قبلها ، وكيف دعى بدعاء الطائف ؟! ثم كيف فتح الله عليه بالمدينة وكيف استقبلوه أهلها بالسرور والفرح على من أعطاهم حياة ليست كباقى الحيوات !!

دخلت إلى المدينة وخطواتى تتسائل كيف كان الصحابة ؟! وكيف كان أهل المدينة ؟! كيف كان من يعيش على يد الحبيب ؟! كيف طُهرت قلوبهم ؟! وكيف اقتفوا أثره ؟! سلام .. سلام الله عليكم .. ألحقنى الله بكم وجمعنى بكم فى فردوسه

صرت أسير فى جنبات المدينة ، أهتدى بالسير مسيرته ، أعيد على مسامعى سيرته وأتعايش معها .. أسير كما لو كنت أسير فوق الخطاوى أهتدى بها ، أسير ليس بقدمى فقط بل بقدمى وعقلى وقلبى ، أسبح فى تفكيرى فأشتاق أكثر ..

أشتاق إلى حبيب يعلم بالرحمة ويروى بلسانه الشريف آيات القرآن ، يعلم الصحابة ويزداد فى تربيتهم ، ويبتسم رغم همومه وثقل حمله ، يسير فيُعرف بالتواضع ويهابه من يراه وإذا تكلم معه أحبه بل عشقه ...

شوقاً إلى صحابة ، نهلوا من أنقى البشر ، قلبت قلوبهم بحكم أحكم الحاكمين على الثبات على دينه ، شوقاً إلى عدل ليس كأى عدل على الأرض ولم يكن إلا أيامهم !! شوقاً إلى حضارة بنيت على تقوى من الله ورضوان .. وشوقاً إلى أخلاق ومبادئ لم يكن بعدها كأحد منهم !! شوقا إلى مسحة بيدية الشريفتين على قلبى ودعوة من فمه الكريم فتستجاب بإذن الله .. فأرجع كيوم ولدتنى أمى ، شوقاً إلى إسلام ليس كالإسلام وإلى قلوب ليست كباقى القلوب !! وإلى زمن ليس كالزمن وإلى حلم ليس كالأحلام ؟!! اشتقت إلى أمة ليست كباقى الأمم ؟!! اشتقت .. اشتقت إلىّ !! اشتقت حتى اشتاق الشوق شوقى فازددت شوقا !!

وبينما الشوق يغمرنى ومشاعرى متضاربة ، سمعت نداء الله ويكأنى أول مره أسمعه وعدت إلى آذان "بلال " – رضى الله عنه – كأن قلبى يشعر بالنداء لأول مره !! كان النداء منبعثا من مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أى روعة هذه !!

ذهبت فتوضأت وأكرمنى الله بالصلاة فى الروضة ، وهنا توقف الزمن لا أدرى ماذا حدث ؟! لأول مره أشعر بعظمة الصلاه ولأول مرة أتذوق حلاوتها ، أنهيت الصلاة وكانت صلاة المغرب فاجتمع الجمال ، وظللت بالمسجد اقرأ القرآن واملأ روحى بالحياه !! ظللت بالمسجد حتى اليوم التالى .. صليت العشاء وصليت القيام وقرأت القرآن وغفوت قليلاً وصليت الفجر وجلست حتى الشروق وما ارتويت !!

ارتحلت فى الصباح إلى البقاع وتذكرت وفاة والد الرسول ووالدته وأصحابه .. يااااه .. لكم تعبت يا رسول الله ؟؟!! لكم كان الحمل ثقيلا !! ثم ذهبت إلى جبل "أحد" وصعدت أعلاه وجلست على قمته .. وكأننى أرى غزوة "أحد" ، أتذكر وصفها وأتذكر إصابته – صل الله عليه وسلم – أتذكر مدافعة الصحابة لحمايته ؟! ووقفت أتساءل .. " تُرى كم بلغ حب الرسول فى قلبك ؟! " ربما أعيانى السؤال فارتحلت وظللت أسير حتى قررت أن أرتحل إلى مكة قبلتى وقبلة المسلمين والإسلام وقررت أن أعتمر ...

أحرمت من " أبيار على " ووجهت وجهى إلى هناك – حيث قصد – ودخلت مكة ! تذكرت حينها النبى يدعو إلى الاسلام ، وإيذاء المسلمين وصلح الحديبيه وفتح مكة ، وعفوه – صل الله عليه وسلم – !!

تذكرت إسلام " عمر " – رضى الله عنه – وكيف أعز الله به الإسلام ، تذكرت إسلام " أبو بكر " وكيف أنه كان دائما سبّاقاً إلى الله ، تذكرت الصحابة وثباتهم على الاسلام ، تجمعهم حول الرسول ، سباقهم فى الخير وحفظ القرآن ، أين نحن منهم ؟!

ثم توجهت إلى الكعبة وكم فاض الدمع !! إن قلوب العالمين حقاً متعلقة بالكعبة ، تهفو إليها منذ الصغر ، تدعو فيستجاب !! يطهر الدمع روحك ، وترجع – إن أراد الله –كيوم ولدتك أمك ..

أديت عمرتى ودعوت الله كثيراً وألححت أن أجد سبيلى ، وصليت صلوات ذلك اليوم فى الحرم ، حتى حل المساء وذهبت إلى غار حراء ، صعدت ذلك الجبل الشاهق لأصل هناك ، المنظر من هناك فوق الرائع .. فالغار هو مكان صغير يطل على السماء فى أعلى الجبل ، كانت إحدى أحلامى أن أصلى هناك

حيث صلى الحبيب ، ووقفت وكنت أستشعر الرسول – صل الله وعليه وسلم – صليت وبكيت وما انتهيت !! إلا أن صلاتى هناك أراحتنى وأراحت قلبى ظللت أقيم الليل وأتذكر الحبيب .. ويظل السؤال : أين نحن منك ؟!!! " حتى قبيل الفجر ثم ذهبت لأصلى فى الحرم

بقيت عدة أيام أرتحل ما بين مكة والمدينة وأفعل ما أفعله ، كنت أتمنى من كل قلبى أن أبقى إلا أن نداء رحلتى قد نادى ووجب الذهاب ، قد جئت إلى هنا لأتزود وأحمل زادى على ظهرى وأذهب فى الطريق بحثاً عن طريق يوصلنى إلى الله ، طريق يوصلنى إلى إعزاز الإسلام ! ودّعت الكعبة ودعوت الله بعودة قريبة ولكن المرة التاليه أكون على بداية طريقى إن شاء الله

فى نهاية الرحلة أدركت أنه لكى تجد الطريق عليك أن تطّهر .. فهل يُعقل أن تبنى على قذارة ؟! وهل يُعقل أن تبنى على كسور ؟! أو هل يُعقل أن تبنى على بقايا روح ؟! كانت الطهارة لروحى هى العمره والرحلات ما بين مكة والمدينة ، تشعر بروحك تهفو إلى السماء !!

الأماكن والصلاه صعب أن يُحكى عنها أو توصف ، أمر يجب أن تستشعره بنفسك ، أمر من عظمته لا يوصف .. كما لو أنك أدخلت المياه لتنقى ولكن كيف تقارن طهارة الروح بطهارة الجسد ؟! هو شئ أعمق من الكلمات وأشهى من الحلوى !

رحلتى هى النقاء والطهارة فى مكة والمدينة ، فإذا لم تستطع فعليك بالصلاة والقرآن والدعاء ، وعمرة وحج الشروق ، لا تنس التفكير و التدبر فى معالم الكون ، ومحاولتك لترويض نفسك دائماً ...

انتـهــى

***

ذهبت بخيالى وقلبى إلى مكة والمدينة ، إلى النبى والصحابة ، إلى الصلاة و مسجد الرسول وبيته وأخلاقه وتعليمه للناس ، ذهبت بتفكيرى إلى حيث أنا .. من أكون ؟! وأين أكون ؟! وكيف أصل ؟! أيقظنى من خيالاتى ، طرقة على النافذة وكان " حمزة " !! يقف خلف النافذه مبتسماً تلك الابتسامه الهادئة !! أما أنا فكنت فى قمة ذهولى ..

نظرت إليه كثيراً ولما رأى ذهولى ، طرق مجدداً النافذه فاستفقت من شرودى ، وخرجت من المنزل لأرى ماذا يريد ؟! وإذا بهاتفى يرن وكانت والدتى .. قالت لى " " سنا " اركبى مع " حمزة " وجدته فهو آت إلينا وقد أخبرته أنك فى منزل جدك ، فأخبرنى أنه سيمر ليأخذك ... لم تنتظر أمى أن أغضب فقط أغلقت الهاتف ...

خرجت إليه ، سألنى عن حالى ؟! وكنت أرد بكلمات مقتضبة وسلمت على جدته وكانت تجلس بالكرسى الخلفى ، إذن على أن أجلس أنا بالكرسى الأمامى !! ما هذه الورطة !! صعدت على مضض وكنت أشعر بشعور غريب يسيطر على كيانى ، أنا الآن أجلس بجانب رجل غير أبى ، رجل غريب وهذا الغريب سيصبح زوجى عما قريب !! ما هذا الهراء الذى أنا فيه ؟!!

وصلنا إلى منزلنا ، سبقنى هو ليفتح لى الباب ! ثم فتح لجدته الباب و انتظر ليساعدها وأنا كذلك ، ساعدناها وكانت تضحك معنا ، حتى دخلنا إلى المنزل وأتت والدتى بالحلوى والعصير وجلسنا جميعا ثم أخذوا يتحدثون عن ترتيبات عقد القران ، وأنا حقا لا أصدق ، أنا ...سأتزوج !! ما هذه الطُرفه !! بعد قليل تركونا نجلس سويا وهم يجلسون على مقربة منا ..

رفع كوب عصيره وابتسم وقال لى "كيف حالك ؟! " فأجبته " بخير " وقال لى " هناك موضوع مهم أريد أن أحدثك بشأنه فهلا تستمعين إلى ؟! أدرت وجهى ناحيته وقلت له " كلى آذان صاغيه " قال لى " قريباً سيكون عقد القران وأعلم أنك لربما أجبرت على الخطوبة ، ولكن عقد القران يجب أن يكون برضاك

، فهلا تعطينى فرصة ؟! وترتضى عقد القران بقلبك ؟ فلربما كنت الزوج الذى تتمنينه " ثم ابتسم وانتظر ردى ..

لا أعلم لم ابتسمت حينها ثم قلت له " حسنا سأقوم بتجربتك " فرد على مزحتى بمزحة " أشكرك يا سيادة الاميرة " ضحكنا سوياً ، ثم رفع حاجبه وقال " فى أى فصل أصبحت الآن ؟! " فأجبته " الثانى " فقال لى " شوقاً إليك .. أليس كذلك ؟! " فاندهشت وسألته "كيف عرفت ؟! " ... فابتسم وصمت ..

ففهمت أنه يذكرنى بشرطه فقلت له " متى يحين الوقت ؟! " فأجاب بابتسامة ساخرة " حين يحين " ثم سألنى " إذاً " سنا " هل تحبين البحر ؟! " فأجبته بتلقائية " بل أعشقه عشقا " ، فابستم وقال لى " لم ؟! " فقلت له " وهل يسأل الحبيب لم يحب حبيبه ؟! " فابستم وقال لى " وأنا أيضا أعشقه كما أننى أعشق اللون الأزرق كثيراً " ومن ثم احمرت وجنتاه ... تعجبت من احمرار وجنتيه وقلت لنفسى " هو حيى إذاً " .. أدركت أنه كان يغازلنى وشعرت بالصهد فى وجنتى ... بعد بعض الوقت ذهبا على لقاء غد للتحضير لعقد القران ، حزنت قليلاً لأننى لن أتمكن من قراءة المجلد خلال الايام القادمة ، جلست على سريرى تعيد ذاكرتى ذلك المشهد مراراً حيث قام بمغازلتى فاحمرت وجنتيه ، وهنا خفق قلبى ! لعدم اعتيادى على ذلك الشعور واعتياد عقلى دائما على صده ففعل عقلى كما المعتاد ، ولكن بين قلبى وعقلى ظللت مشتته ، لا أعلم ماذا أفعل ؟! فذهبت إلى غرفة الرياضة لأنسى نفسى ذلك الشعور ...

***

سعيد أنا ، بعد أيام قلائل ستصبح "سنا " زوجتى ..احمرّ وجهها اليوم عندما كانت تتكلم عن البحر ، دائما ذلك الاحمرار ما يجعل قلبى يخفق ! لأول مرة أغازل فتاة فى حياتى لذا ألقيت الكلمة وارتبكت ، هل وقعت فى الحب أم ماذا ؟! على أن أصلى ركعتين ليبارك الله لنا فى الزيجة ويجعلنى زوجا كما النبى – صلى الله عليه وسلم –

***

ظللت فى غرفة الرياضة أحاول تناسى شعورى ولكن دون جدوى ! ذهبت إلى السرير إلا أن النوم يجافينى ، صليت الفجر وظللت حتى الصباح والنوم يجافينى ، تناولت الفطور ومر علينا " حمزة " وخرجنا جميعنا ، ذهبنا للمأذون لتسوية الأوراق ثم لتسوية أمور الحفل ، كان " حمزة " يقف جانبى ويدعنى اختار ما أريد ويبتسم وإذا أبدى أحدهم اعتراضا كان يقول " دعوها " ، كنا خلال السير نتحدث كثيراً وجدته ذو عقل كبير يزن الامور بميزانها ويضع الأمور فى نصابها الصحيح ولأول مرة أدرك كم أن ابتسامته ساحرة ! أوقفنا طفلاً يلعب حمله وظل يلعب معه ويداعبه حتى احتضنه الطفل وأنا ابتسم !! هو طفل بعقل كبير !!

ظللنا يوميا نخرج لنقضى حاجيات العقد ، اشتريت فستانا أزرقاً وأصررت أن أخفيه عنه ثم اشترينا بدلة له ، وظللنا هكذا حتى اليوم الموعود ، كان الفستان أزرق طويل تقصيلته بسيطة ورقيقة إلا أنه مفتوحا قليلا من الأعلى ، ظنت أمى أننى سأرتديه هكذا إلا أنه من المستحيل أن أفعل ذلك ، اشتريت ما يلائم الفستان من شال طويل ووشاح طويل وبالطبع ما يرتدى تحته ...

كنت قد قررت أن لا أذهب للتزين ، فأصرت أمى أن تأتى بمزينة فى المنزل فزينتنى وحان وقت ارتداء الفستان وكانت صدمة أمى ! صرخت بى أمى قائلة " ماذا ترتدين ؟! هل جننت ؟1 إنه سيصبح زوجك حلال أن يراك بدون هذا التحشم كنت أرتدى كما كنت أرتدى فى الخطبة من شال ووشاح طويل ، ابتسمت كالبلهاء وقلت لأمى : أعلم أنه حلال ولكنى لا أستطيع هيا يا أمى ، اذهبى الآن لضيوفك وأنا سأكمل زينتى ، كادت أمى أن تتعصب على وتقسم على أن أزيل ما أرتدى إلا أننى اوقفتها وقبلتها على جبينها وأخبرتها أن لا تقسم لأننى لن أستطيع أن أبر قسمها ، فخرجت أمى بعد أن أدركت تماماً أنه لا فائدة منى على الإطلاق ..

أكملت التزين وهذه المرة جعلتها تفعل بوجهى ما تريد ، وما إن كادت أن تنتهى حتى أذن المغرب ولكى أتوضأ بالطبع أزلت جميع زينتى مما جعل المزينة تكاد أن تختنق منى ، اعتذرت لها بشدة ولكنى لم أجد مسوغ يجعلنى أؤخر صلاتى أو أن أجمعها ! صليت وأتممت فرضى وما إن انتهيت حتى أخبرونى أن " حمزة " قد حضر ، ابتسمت وقلت فى نفسى " إذاً عليه أن ينتظر " ..

عقدنا القران فى وسط فرحة جميع من أعرفهم ودهشتهم أيضا فما من أحد كان يتوقع أنى سأتزوج الآن !! من المعتاد عليه فى بلادنا أن يدخل العريس فى منتصف الحفل ليبارك للعروس ، أخبرونى أن " حمزة " قد أتى ..

دخل علىّ وكان وسيماً ، كان يرتدى البذله الذى اخترناها له ويرتدى كرافت لون فستانى ، مع لحيته وعينه كان يبدو متكاملا ، بارك لى ثم قبلنى على جبينى وأنا مصدومة ! وانظر إليه باندهاش ، غضبت كثيرة من حركة كتلك أو لربما كان خجلاً أحاول إخفاؤه أدرت وجهى وتظاهرت بالتبسم ..

كان الحياء يظهر على محياه وكانت الحمره تملأ خديه وكان ينظر إلى الأرض وعندما نظرت إلى الفتيات كانت نظرات الاعجاب بادية عليهن ، غضبت كثيراً ونظرت إليه وأخبرته " هل تستطيع أن تخرج الآن ؟! " فاجأنى حين قال " لكنى سعيد وأنا هنا ..ثم تبسم تلك الابتسامة الساخرة "

إحدى الفتيات أدارت أنشودة لنرقص عليها رقصة "بطيئة " دون أن أدرى بحالتى ، نظرت إليه وقلت له " إياك حتى أن تجرؤ أن تفكر أننا يمكننا ذلك .. أبداً " ، ضحك كثيراً ثم تحولت نظراته إلى الجدية وقال لى " أنا لا احد يؤمرنى ، وإن كنت أريدك أن تفعلى لجعلتك تفعلين وأنتى سعيدة ، ولكن بعد تفكير انا لا أريد" كنت على وشك أن أصيح به إلا أنه قال " سأخرج الآن " وقف وهم بالخروج إلا أنه هبط إلى مستوى أذنى وقال لى " لن أقول لك شيئا ولكنى فعلت ذلك حتى لا تحرجى أمام صديقاتك "

***

دخلت عليها القاعة بعد أن عقدت قرانى وكان قلبى منتشيا هى الآن حلالى وملكى أنا وحدى ، قبلت جبينها شكرا لله على نعمته ، كانت نظرات الخجل بادية جداً على وجهها والتى دائما كانت تحاول إخفاؤها ، ثم نظرت إلى شرزاً نظرات مليئة بالغيرة وأمرتنى أن أخرج إلا أننى كنت مستمتع بتلك النظرات فقررت أن أستغل الوضع وأجلس قليلا بعد ، عندما سمعت تلك الانشودة كان قلبى يرقص فرحاً إلا أننى كنت أعلم مدى خجلها الشديد ، وعندما قالت لى ما قالته قررت أن أداعبها فأثرت هدوئها وأنا أعشق مظهرها حين تكون عصبية

***

قررت أن أستمتع بالحفل ، مرحت مع صديقاتى وأهلى وظلت صديقتى " ليلى " معى إلى أن انتهى الحفل تماماً وحان وقت المواجهه !!!

لدينا بالمنزل غرفة خاصة بوالدى بها انتريه ومكتب ومكتبة و مشغل أناشيد وغيرها من الإمكانيات التى يهواها والدى ، قرر والدى أن يجعلنا نلتقى بعد نهاية الحفل ، طرقت الباب وكنت أسمع نبض قلبى وازداد توترى وجف ريقى ، دخلت إلى الغرفة وتركت الباب مفتوحا .. كان عاقدا ذراعيه وناظرا إلى المكتبة معطياً ظهره إلى ودون أن يلتفت قال لى " من فضلك أغلقى الباب " ما كان لى من بد إلا أن أغلق الباب !! وبعدها وقفت مكانى متسمرة ولا أستطيع الحراك

عندما طال انتظارى التفت إلى وابتسم ثم نادى على وقال لى " هل ستظلين بمكانك ، تعالى لنتحدث قليلا ومن ثم أشار إلى مكان بجانبه كى أجلس ، توترت كثيرا وصرت أجر قدمى وكأنما أجر صخر ! جلست وظللت أنظر إلى الأرض وفجأه ظهر أمامى باقة من الورد الأصفر مع غلاف يحوطها أزرق اللون ، كانت رائعة أخدتها وظللت أداعبها بيدى حتى قال " مبارك ، اللهم اجعلنى صالحا لك وخير زوج ، اللهم وارزقنى حبها " تبسمت وارتبكت أكثر

قال لى " تبدين جميلة جدا ، لم لا تنظرين إلى ؟! " تلجم لسانى ولم أستطع الرد ، قال لى " أحضرت لك هدية " نظرت إليه متسائلة فوجدته مبتسما يحمل بين يديه خاتماً على شكل فراشة ، مد يده طالباً يدى ليلبسنى إياه " اعتذرت منه لأننى كنت فى شدة خجلى وقلت له " إذا أردت أن تلبسنى إياه وأن تغير لى موضع خاتم الخطبة ، يجب عليك أن تكسب قلبى وتستحوذ عليه "

تبسم وأعاد الخاتم وقال لى " حسناً موافق "

فنظرت إليه متحدية وقلت له " أنا قلبى لا يفتح ولا يكسب ولا يفاز به بسهوله وعليك أن تنمى مهاراتك "

ابتسم ابتسامة صامته وأومأ بموافقته

ناقش معى كم كتابا قرأه وتصادف قراءتى إياهم ، ظللنا نتحدث ونتناقش حتى نسيت تماما أننا متزوجين حديثاً ، استئذن وتركنى مما جعلنى أتساءل أى البشر هو ؟! لمَ لم يعترض رغم أنه حقه ؟! لم لم يتعصب على !! غريب !! تمسكت بالورد كما الطفلة التى تمسك بلعبتها ..

***

لم تكن ابتسامتى بعد ما قالته أو صمتى أهوجاً كما يعتقد البعض ، بل كنت أعلم مسبقاً أنه من الصعب الوصول إليها وكنت أعلم أن هناك معركة قادمة وكنت أتسلح بأسلحتى كى أدخل ذلك النوع من المعارك اللطيفة ، تلك المعركة التى لا تحتاج إلى أسلحة فتاكه فقط إلى صبر وتفهم وحنان ودعوات إلى الله أن يرزقنى حبها وقلبها حتى تكون معى راضية ، قررت خوض المعركة وأنا راضٍ تماماً عما سأخسره فيها من نظر أحدهم ولكنها فى النهاية مكسباً لى !

***

جلست بالليل أتساءل كيف حدث ذلك ؟! أنا الآن متزوجة ! أكاد لا أصدق وأكاد لا أفهم ..كيف ؟ وأين ؟ ومتى ؟! ولماذا ؟! نفضت من رأسى الأفكار وقمت فتوضأت وصليت ركعتين ، كنت كلما سجدت دعوت له قبل ان أدعو لى وكنت أتعجب كثيراً لذلك ؟! حتى وصلت أن سألت ماذا أريد ؟!

ما إن أنهيت صلاتى حتى سمعت نغمة هاتفى المحمول ، تعجبت لأن الوقت متأخر نظرت فوجدت رساله منه تقول " تصبحين على طاعة من الرحمان ، لا تنسى قيام الليل ودعوة لى .. لا يهم إن لم تكونى بعد أحببتنى ، يكفى قلباً واحداً الآن يحب ! زوجك "

ابتسمت ولمس قلبي شيئا من كلامه وضعت الهاتف جانباً وذهبت فى نوم عميق !! أفقت الفجر على رنة موبايلى أيضا فكان يوقظنى للصلاة ، صليت وقرأت أذكارى ووردى ، ثم وجدت أنه من المناسب أن أبعث إلية برساله ولكنى تساءلت ماذا أكتب ؟! بعثت له بالرسالة ونمت

استيقظت صباحاً وسلمت على والدى واستئذنت منهما لأخرج وأذهب إلى منزل جدى وكنت على وشك الخروج حتى استوقفنى والدى قائلا " هل استئذنت زوجك ؟! "كان لكلمة زوجك رنة عجبيه على أذنى ، استنكرت قائلة " ولم ؟! " نظر لى والدى ثم قال " لأنه زوجك " قلت لنفسى " ها قد بدأنا : كدت ان أعتدل عن فكرة الذهاب حتى أفكر ماذا سأفعل ؟! حين وجدت هاتفى يرن وكان هو ...

حمزة : السلام عليكم

أنا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته

حمزة : شمسى الآن خرجت ,صباح الخير على عيونك ..

أنا : صباح النور

ثم قال " ماذا ستفعلين هذا الصباح ؟! ثم استدرك قائلا بضحك " هذا ليس فعلاً مخابراتياً ولا تقصياً ، فقط أريد الاطمئنان عليك " ضحكت ووجدتها فرصة فقلت له "كنت سأذهب إلى منزل جدى لأقرأ ، ثم سكت وأضفت " هل يمكننى ؟!

فضحك ثم قال " نعم بالطبع أنا لست سجانك ، أنا زوجك والفارق كبير " ثم أضاف " حسنا ، الله معك .. فى رعاية الله .. أتأمرينى بأى شئ ؟! "

فقلت "لا "

قال " حسنا استودعتك الله ..

أغلق فأخبرت أبى وذهبت ...

كنت مشتاقة للبحر كثيراً ، بسبب انشغالى بموضوع عقد القران لم أستطع الذهاب إليه فقررت أن أذهب لأجلس إليه ، ذهبت وجلست وبدا وكأننى أتحدث ولكن بدون صوت ، اندمجت مع حركة الأمواج والمنظر حتى فاجأنى " حمزة " وقال تأخرت عن العمل قليلاً حتى أراك " ابتسمت ولم أرد .. فابتسم وجلس بجانبى دونما حرف .. ثم قلت له " ألن تذهب ؟! " فقال لى " نعم .. ولكن هلا تدخلين الآن ؟! فأجبته " نعم ولكن لعلمك أنا أستطيع الاعتناء بنفسى جيداً .. إلى اللقاء " غضبت ولا أعلم لم ؟! دخلت إلى المنزل وقررت أن أكمل المجلد فى غرفتى التى أعدها لى جدى ...

الفصل الثالث ...

كانت رسمته غريبه ! .. رسم جدى ألوان الطيف فى أعلى الصفحة وعلى جانبى الصفحة وفى وسط الصفحه كان البحر ، وعلى جانبيها حضن الأم لطفلها وحضن صديقين ، كتب كلمة الصلاة وفى أسفل الصفحة كتب عنوان الفصل !

***

الفصل الثالث :

" الوطن "

في صغرى كنت أظن الوطن هو ذلك المكان الذى يولد الإنسان فيه ويمضى فيه حتى يكبر ، يظل يعود إليه إذا سافر وفقط ! ولكن فى سفرى أدركت أن الوطن أكبر من ذلك ، فالوطن هو المكان الذى تجد فيه راحتك وسعادتك ، هو المكان الذى كلما ذهبت إليه مختنقاً عدت مسروراً .. ، هو المكان الذى تعشقه رغم كل عيوبه ، هو المكان الذى يملأ روحك ويملأ وجدانك بالمعانى التى لا تستطيع نسيانها ، هو المكان الذى تعشقه لبساطته وجماله الداخلى .. من قال أن الوطن واحد ؟!

الوطن لا يكفى أن يكون واحدا ، فالأوطان كثيرة فالأم والأب وطن والبحر وطن والسماء وطن والإسلام وطن والقلب وطن والزوجة وطن ، وأنا أوطانى كثيرة

الأسكندرية وطنى الذى ولدت فيه ويحمل ذكرياتى ، وجميع ما ذكرت أوطان لى ، وكل ما يحمل لا إله لا الله وطن لى ، والسفينة التى أركب ظهرها وطن لى ، " نور " وطن لى والقرآن وطن والصلاة وطن

والسجود وطن والكتاب وطن ، عندما أنهيت رحلتى فى السعودية وتركت جزءا من قلبى هناك ، ارتحلت إلى حيث سأفقد أجزاء من قلبى على مدار الرحلات القادمة ..

أخذنى قدرى إلى الأندلس (أسبانيا الآن) الأندلس تعنى لى أكثر من مدينة ، الأندلس كانت من ضمن أمنياتى التى تمنيت يوما أن أزورها وأرى حضارتنا ! الاندلس بالنسبة إلى عهدا من عهود المسلمين ، قرأت عن الأندلس كثيرا حتى تعلق قلبى بها ، هبطت إلى الأندلس وعندها تذكرت " موسى بن نصير " و " طارق بن زياد " عندما دخلاها .. تُرى بماذا كانا يفكران ؟! بالطبع يفكران فى الشهادة فى سبيله وإلا فى النصرة للإسلام وإعزاز المسلمين ...

أقف على أعتابها وأتنفس عبق الحضارة وعبق التاريخ الإسلامى ، استشعر خطوات " عبدالرحمن الداخل " و " عبدالرحمن الناصر " و "عبدالله بن ياسين " و " الموحدين " و "المرابطين " وعظماء الأندلس ...

أتحسس حضارة كانت وازداد الشوق إليها ، أتذكر تعاليم للإسلام أقيمت فى يوم ما هنا ، أستنشق الإسلام قولاً وعملاً ، وقفت أحدث نفسى هكذا فترة أتذكر وأتذكر حتى شعرت بدموع ساخنة تنزل على خدى وابتسامة بلهاء مرسومة على فمى ، وظللت أنظر إلى البحر وأقول له " سنعود يوماً ما وسنعيدك "

كنت أرغب كثيرا فى رؤية " قصر الحمراء " ، ذهت إلى هنالك والشوق يغمرنى وذهبت إلى هناك القدم تقدم وقدم تؤخر ، عندما دخلت كان المكان عظيماً تستشعر عظمته من عظمة الإسلام ، ترى ما يقر العين من أنهار ومياه زرقاء وجنان خضراء وقصر زينته آيات القرآن وجدار قد زينته كتابات إسلامية موجودة إلى اليوم !! ولا أعلم لم فى هذا الموقف حضرتنى مقولة الأم للحاكم الأندلسى الأخير " ابك كالنساء على ملك لم تحفظه كالرجال " ويكأننى كنت أشعر بما كان يشعر هو آنذاك ، فلتبك على إسلام لم يعد إسلاماً ! وإسلاميون لم يعودوا للإسلام أملا ! ووطن بل أين الوطن ؟!!

شعرت أننى أحتاج أن اناجى الله فقررت الذهاب إلى الجامع الكبير ، ركبت حافلة تقلنى إلى هناك وتعرفت إلى صديقى " مؤمن " كان عربياً يعيش فى " أسبانيا " عائلته عربية من الإمارات واليوم الذى قابلنى فيه كان إجازة من عمله ، تعرف على من وجهى وقدم إلى يسألنى " ءأنت عربى " فأجبته " نعم " تحدثنا كثيراً واصطحبنى و ذهبنا إلى " الجامع الكبير " وتوضأت ونويت ركعتين لله وصليت وحمدت الله و" مؤمن " بجانبى ..

ربت على كتفه وقلت له " اسمك جميل .. اللهم اجعل لك من اسمك نصيب " وهنا بكى وكأنه كان ينتظر منى دعاء كهذا فخففت عنه وقلت له " هوّن عليك نفسك ، قص علي ما بك ؟! " هدأ قليلا ثم قال " لم أصلِ مذ كان عمرى عشر سنوات ، كنت كلما هممت بالصلاة لم يتم لى ذلك ، وكل مرة أعود أسوأ مما كنت ! عاقرت الخمر وكدت أدمن المخدرات وصحتى دائماً فى تدهور وحياتى دائماً فى انقلاب ! وعملى ليس جيداً ، اشتاق الله كثيراً ولا أعلم ما يمنعنى ..فقط لا أستطيع الصلاة !! حتى عندما أردت أن أتزوج عل الله يصلح لى الحال وأحببت خطيبتى إلا أن الموضوع لم يسر على ما يرام وافترقنا ! شعرت أن الله يعاقبنى لأنها كانت ملتزمة وكان أكثر شجارنا على الصلاة والعبادات !! صمت قليلا ثم قال " لا أعلم لم قصصت عليك كل ذلك إلا أننى أشعر كما لو أن الله ساقك إلى .. هلاّ ساعدتنى ؟! " وبعد كلمته الأخيره صدح المؤذن بآذان صلاة العصر ، ابتسمت وقلت له " الله يناديك ، هيا توضأ وقم إليه " توضأنا وصلينا وظللنا معا طوال مكوثى هناك حتى أننى أردت أن أعمل لأجنى بعض الأموال لأكمل رحلتى ، فعرض على العمل معه ووافقت ، وبالفعل تبدل حاله كثيراً فأصبح يحافظ على صلواته فى أوقاتها ، نصلى معاً الفروض وقيام الليل ، نأكل ونشرب معاً

كل من حوله لمسوا ذلك التغيير ، ترك معاقرة الخمر والسجائر وأصبح يراعى عملة أكثر حتى معاملاته قد تغيرت كثيراً ، أصبحت ابتسامته مرحه وروحه مرحه وأصبح هو أكثر نضجاً ، كان قلبه دائما ما

يشتاق إلى خطيبته فحدثته أكثر من مره أن يذهب فيطلبها مجدداً إلا أنه كان يتهرب فقد كان خائفاً من المواجهه ، وبعد إلحاح منى لفتره طويلة ذهب إليها وطلبها ووافقت بعد أن تلمست ذلك التغيير !!

خلال فترة إقامتى هناك تعرفت على والده ووالدته وأخيه ، فعندما كنا نخرج معاً كنت أمر عليه ، عقدوا حفل الخطبة وكانت عائلية لم يحضرها سوى الأقارب وأنا من الأغراب لأنى كنت أقربهم إلى " مؤمن " وفى الحفل وقع ناظرى على فتاة خطفت أنظارى ! كنت أغض البصر إلا انها وقعت أمامى لا أدرى كيف ؟!

كانت عيناها عسليتان وترتدى فستان محتشم وبشرتها بيضاء ، ابتسامتها تنير وجهها واحمرار خديها خجلا يزيدها جمالا ، ولمفاجأتى قبّلت " مؤمن " وألبسته هو وعروسه الخواتم وهنا تذكرت كلام " مؤمن " عن أخته الصغرى " يقين " ظلت عيناى متعلقة بها فترة حتى وقع نظرها على فخجلت وحولت نظرى عنها محاولة لإخفاء اضطرابى ، ومن يومها وهى تشغل كيانى وتفكيرى ، حاولت كثيرا أن لا أتعلق بها وأن لا أجعل قلبى معلقا بها دون جدوى ، دائما صورتها تظهر أمامى ، استخرت الله ودعوته كثيرا " أن يقدر لى الخير حيث كان ثم يرضينى به " تحدثت إلى والدىّ وقمت باستئذانهما فأذنا لى ...

تحدثت إلى صديقى " مؤمن " ولكن لم أكن أعلم " كيف ومن أين ابدأ ؟! " ولكنه أراحنى بابتسامته وشجعنى فشرحت له الموضوع وتهللت أساريره ثم صمت وأخافنى صمته كثيراً ، ثم بعد قليل عاد فقال لى " إنى أحبك كثيراً ولن أجد لأختى من هو أفضل منك إلا أنه يتوجب على إخبارك بشئ " ابتلعت ريقى وقلت له " تفضل " قال لى " إن أختى أحمد الله أخلاقها حميدة ولبقة إلا أننى لا أعلم ماذا تقول لكل من يطلب يدها عندما نتركهما ليتحدثان ، يتحدثان ويكون العريس راضياً ثم بعدها ينقلب وجهه ويحمر ثم ينصرف إلى غير عودة ولأنها عنيدة بعض الشئ لا تريد قول شئ لنا " ثم نظر إلى نظرات ذات معنى وأردف قائلا " كن صبوراً عليها " ابتسمت وقلت له " اللهم قدر لنا الخير ، حدد لى موعدا مع أسرتك لآتى وأتقدم وأخبرهم أن " أبى " وأمى " سيحضران أيضاً عندما يحين الوقت " اتصل بى " مؤمن " ليلتها وقال لى " أنه بعد يومين ينتظرونى " ظللت أفكر " ترى ماذا تقول لهم لكى يذهبوا دون عودة ؟! "

حان اليوم الموعود وارتديت حلتى واشتريت شيئا قيماً كى أقدمه لهم كما هى العادة لدينا ، وبالفعل دخلت إليهم وجلست مع والدها و" مؤمن " ووالدتها حتى نادت عليها والدتها فقدمت على استحياء ، كانت بارعة الجمال وترتدى عباءة مطرزة وعليها وشاحها الطويل ينير وجهها وخدودها تزداد احمرار كلما اقتربت ، تركونا نجلس معا وهم على مقربة منا فافتتحت الحديث وأخبرتها من أكون ؟ وأين العمل ؟! وهكذا وسألتها أيضا " من هى ؟! وإلى ما تطمح ؟! وهكذا من أسئلة الزواج المعروفة ؟! وبعد أن انتهيت نظرت إلى فجأة نظرتها الأولى منذ بداية اللقاء واحمرت وجنتيها أكثر ثم قالت لى " لدى شرط بالزواج ، لا أحل لك قبل أن تنفذه لى " فقلت لها بتعجب " وما هو ؟! فقالت لى " عدنى أولا أن يكون هذا سر بيننا لا يعرفه أحد سوانا والله شاهد " قلت لها " أعدك " ، أخبرتنى بما كان يجعل بقية الآخرين يهربون خوفاً ، ابتسمت وقلت لها " دعينى أفكر " قالت " حسناً " يصاحبها نظرات تعجب تملأ وجهها " لمذا لم أهرب مثل البقية ؟! "

استئذنت بعدها وذهبت إلى منزلى أفكر بهذا الشرط العجيب بل هذا الشرط الرائع ، إنه شرط قاس إلا أننى أحببته ، استخرت الله ودعوته أن يعيننى على تنفيذ هذا الشرط وأخذت أسبوعا أفكر فأنا إن وعدتها يجب أن أنفذ ، وتنفيذ هذا الشرط يحتاج إلى مجهود وسعى ,,,

هدانى الله رؤية أراحت قلبى فأخذت القرار واتصلت بـ " مؤمن " وأخبرته بموافقتى واتفقنا على عقد الخطبة ، عقدنا بفضل الله الخطبة وبعثت بالصور إلى والدى لعدم تمكنهما من الحضور ، تدرجت فى العمل مع " مؤمن " وصرت ذراعه الأيمن ، وصارت أسفارى أكثر لأننا نفتتح أفرع جديدة للشركة وكنت أحاول التواصل دائما مع " يقين " ورويداً رويداً كانت تتجاوب معى ، لمست فيها تدينها وخجلها وانفتح قلبى أكثر لها ..

بعد أن فتح الله علينا من أبواب الخير وحمدنا الله كثيرا وأشهد الله أن " مؤمن " كان قريباً من الله ، يصلى الفرض بموعده ولا تأخذه الدنيا وفتح الله عليه من الصلاة والإسلام وإقامة الفرائض ، ابتلانا الله

بمرض " مؤمن " مرضاً شديداً بالسرطان وللأسف علمنا فى آخر مراحله ، وكان " مؤمن " صابراً محتسباً مبتسماً رغم المرض ..

توفى " مؤمن " ولكن ما طمئن قلوبنا أنه مات وهو ساجد ، نعم كان يقاوم المرض ليؤدِ الفرض وكأن قلبه قد تعلق بالصلاة وكأنه كان يحيا بها ! أشهد الله أن أهله كانوا صابرين محتسبين حتى خطيبته كان يبدو عليها الألم الشديد إلا أنها كانت صابرة ، و أكثر ما أدهشنى هو صمود وقوة " يقين " لم تكن تذرف الدمع إلا أمامى ، ودائما ما تخفف عنى وعن أهلها ..

كان " مؤمن " لى وطن ! وهنا تكمن المشكلة فبعد وفاته تدهورت كثيراً إلا أننى دائما كنت أتذكر وطنى الأكبر " ربى " ألجأ إليه كثيراً حتى صبرنى الله وتخطيت وأهله الصدمة ..

دائما ما كنا نتذكر معاناته وهو يحاول ترك الخمر والسجائر وأشهد الله أنه كان أكثر شخص ذا عزيمة وإراده أعرفه ، لم يعاود ولو لمره واحده – رحمة الله عليه –، صرت أحاول أن أعمل كثيرا حتى أتناسى والحمد لله تخطيت المحنة وطورت العمل كثيراً ، وانضم إلى " محمود " الأخ الأصغر لـ " مؤمن " كان بيننا حوالى خمس سنوات فارقاً للسن ، ولم يكن ارتباطنا ببعض قوياً لأنه كان دائما مشغولا بالمذاكرة والدراسة ولكنه كان رجلاً فكان يدرس ويساعدنى بالعمل ، كان عمرى قد أصبح حينها خمس وعشرون عاماً ، تطورت علاقتنا أنا و " محمود " وشجعنى هو و " يقين " أن أتابع دراستى التى كنت قد تركتها فى الأسكندرية من أجل أن تلحق روحى بتلك الرحلة ، التحقت بكلية التجارة وكان محض اختيارى فقد كنت أعشق هذا المجال ..

كان فى الجامعة نظام الذى يؤهلنى أن أنهى دراستى فى وقت قصير إذا اجتهدت وبالفعل تبعت هذا النظام وأنهيت دراستى فى عامين اثنين ، وفى التوازى كان العمل الحمد لله يسير على ما يرام ، ثبت أقدام " محمود " وتعليمه كان على ما يرام ، فقدمت لوالد " يقين " لأعقد قرانى عليها ووافقوا الحمد لله ...

أحضرت والدىّ وعقدنا القران وظللت أدعو الله أن يعين ظهرى على هذا الميثاق الغليظ ، حقا كانت مشاعرى مختلطة خوفا وفرحا ورجاء وكانت " يقين " رائعه يزيدها جمالاً كالعادة احمرار وجنتيها ، انتهى اليوم وصليت ركعتين شكرا لله وتذكرت " مؤمن " ولم أكن قد نسيته فدعوت له ودعوت لى أن يجمعنى الله به فى الفردوس ، بعدها تعددت سفرياتى من أجل العمل ..

تلك السفرية أحدثت فى نفسى الكثير غير أنها تركت بى جرح عميق إلا أن الصحبة كانت أهم شئ لدى ، ففى البلد الغير إسلامى ، الإسلام يتفلت إن لم تتمسك به جيداً وكانت الصحبة بالنسبة إلى ما تعيننى على ذلك ، وفى عملى كنت أحافظ على ذلك ، كنت أغض بصرى ولا أسلّم على النساء ، فى بادئ الأمر كان الوضع مثيرا للتعجب إلا أنهم اعتادوا الأمر " كونوا دعاة إلى الله بأخلاقكم " والذى تعجبت منه كثيرا هم عائلة " مؤمن " فقد كانوا متدينين رغم أن " مؤمن " كان هكذا !

تعلمت أن بداية الإنسان ليست بالأحرى أن تكون نهايته ، ولمست قلبى الآية " إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء " سبحان من ساقنى إلى " مؤمن " وساقه إلى وساق لنا الطريق ، تعلمت من صدق الله صدقه الله وأحسب أن " مؤمن " كذلك ولا أزكيه على الله أحدا ، يا صغيرتى إن التغير صعب ، يسهل بالإستعانة بالله والإنسان ضعيف يتقوى بالله ، والذنب كبير والله اكبر ..

انتـــهى

***

انتهى هذا الفصل ودمعت عيناى فقد لمست كيف كان جدى مرتبطا بـ " مؤمن " كيف كانا صحبة ، وعلى أى شئ بُعث بعدما قد كان فيه ورددت على لسانى " اللهم ارزقنا حسن الخاتمة "

ف شرودى هذا ، إذ فجاة وجدت " حمزة " أمامى وقد وقف متسمراً و ناظره على وفمه يتمم بشئ لا أفهمه ، اعتدلت فى جلستى وقلت له " ماذا تقول ؟ وكيف دخلت ؟! " ولم أسمع إجابة منه سوى قوله " سبحان الخلاّق " فتعجبت وسألته " كيف دخلت ؟! " فأفاق من شروده وأجابنى ..

***

عدت من العمل باكرا وعزمت أن أذهب لأطمئن عليها ، كدت ان أطرق الباب إلا أننى وجدته مفتوحا فدخلت وناديت عليها ولكنى لم أسمع إجابة ، كررت النداء ولكن دون جدوى .. قلقت فصرت أبحث عنها فى أرجاء المنزل حتى وجدتها فى إحدى الغرف ،كانت عيونها دامعة إلا أن اختلاط دمعها بزرقة عينيها صار مزيجاً جمالياً ربانياً ، لا يجعلك سوى ان تقف متسمرا مكانك وتقول " سبحان الخلاّق "

أفقت من تسمرى على سؤالها " كيف دخلت ؟! " فقصصت لها ما حدث وكيف دخلت إلى المنزل ، فابتسمت ..

أوصلتها إ المنزل وفاجأنى والدها عندما قال لى " " حمزة " من فضلك تفضل فأنا أريد التحدث معك " تبعته إلى غرفته وابتدأ حديثة وقال " أنا أعلم " سنا " صعبة المراس كثيراً أنا ائتمنك عليها وأضع ثقتى بك إلا أننى أريد أن أساعدك وأريد أن أحاول كسر تلك الحواجز التى تضعها حول نفسها .. لذا عليك انت و جدتك الإقامة معنا فى نفس المنزل ، والحمد لله المنزل كبير ولا تقلق سأقنع جدتك وسأقنع " سنا " بأنك تقيم معنا بظروف عملى فأنت فى نفس مجال الهندسة وتستطيع تدبر الأمر فأنا أريد الحصول على إجازة لأننى تعبت ... فما قولك ؟!

انتهى من كلامه وأنا كنت مدهوشا مع كل كلمة أخرجها من فمه ، لا أعلم كيف أجيب وكيف أتصرف ؟! فقلت له " سأستخير الله وأجيب عليك قريبا إن شاء الله " ، مضيت إلى المنزل وكنت بحاجه شديدة إلى الجلوس على البحر ، كنت أريد أن أستنشق الهواء العليل وأفكر كثيرا ! توجهت إلى البحر وجلست أمامه بعيدا عن أى أى ضجة للحياة السريعة فقط استرخاء ودعوات وتفكير ، ظللت أستخير وأفكر طيلة أسبوع حتى اطمئن قلبى لقول عمى فأجبته بالإيجاب ... وقام عمى بتدبر الموضوع !

***

فاجأنى أبى عندما اجتمع بنا أنا وأمى و " حمزة " وجدتى وأخبرنا أنه مرهق جدا ويريد أن يأخذ استراحة من العمل ، وأن الطبيب أخبره أن يفعل ذلك .. ولمّا كان مجال عمل " أبى " هو نفس مجال عمل " حمزة " وأن أبى يثق به كثيرا وما من أحد من أقاربى يستطيع أن يحل محل والدى ، فإن " حمزة " سيحل محله ويصبح به المدير ... إلى هنا لم تكن مفاجأتى كبيرة ، فأنا أعلم أن أبى ما اتخذ ذلك القرار إلى بعد تفكير عميق ودراسة جيدة للموضوع ، بعدها أكمل أبى بالمفاجأه فقال : أنه يتعين على " حمزة " وجدته أن يمكثا معنا فى نفس المنزل لتسيير العمل كما يريد أبى وكذلك ليكن " حمزة " تحت يدى والدى دوما حينما يريده لأن – على حد قول والدى – أن أى تأخير فى أى قرار لأى ظرف سيؤثر على العمل كما أنه يريد أن يعلم " حمزة " جيدا ، حتى لا ينهار العمل !!

وقع كلام والدى على كالصدمة ، وعندما كنت أنا تحت تأثير الصدمة حاولت جدته أن تتفلت من هذا الأمر إلا أن والدى قال لها أنها سترتاح لدينا وأن المنزل يسع ، كما أنه قرار لا رجعة فيه ، فصمتنا جميعا ! وبدأت الأفكار فى عقلى تدور ، كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟! فى أى رواية نحن ؟! ولكن هيهات أفكارى أن توقف ما هو على وشك الحدوث !

انتقل كلا من "حمزة " وجدته إلى المنزل لدينا ، ولم أكن أبدا لأعترض على وجود جدتى فأنا أحبها كثيرا ، ولكنى لم أكن أستطيع تخيل أن " حمزة " معى تحت سقف واحد ، أعلم أننى الآن زوجته .. ولكن !!
حاورتنى نفسى " مم أنت حقا خائفة ؟! هل خائفة أن الآن أصبح يسيراً أن يفوز بقلبك ؟! أم أنك بالأساس مشاعرك تتحرك كلما رأيتيه أو صدمتك ابتسامته ؟! كان قلبى يدق سريعاً وأنا هائمة بأفكارى حتى نادى على " حمزة " ولدهشتى كان نظرى مثبتا عليه طيلة تفكيرى !!

***

كانت " سنا " بالطابق الأعلى وأنا كنت بالأسفل أساعد جدتى التى اتخذت الغرفة فى الأسفل حتى لا يرهقها صعود السلم ، وقررت أنا الإقامة بغرفة جانبها ، كنت أنظم حاجياتنا وأنقلها من الخارج إلى الداخل ، عندما وجدت " سنا" تحملق فى وجهى فابتسمت لها إلا أنها كانت شاردة ، فناديت عليها فارتبكت واحمر خديها ...

***

قررت أن أهرب من ذلك الموقف برمّته ، إلا أننى كنت أهرب من قدرى إلى قدرى !! فقررت أن أذهب لأكمل قراءة مجلد جدى ، فاستئذنت أبى وكان يتحتم على استئذان " حمزة " وقال لى " سأوصلك " ، سبقنى إلى السيارة وجلست إلى جوارة وأنا بداخلى ألف فكرة وخاطرة وقلبى ينبض سريعا حتى أوصلنى إلى المنزل ! واتفقنا أن يمر على وانطلق هو بعد أن قال لى " استودعتك الله " وابتسم ابتسامته الساحرة ..
حدثت نفسى قائلة " لماذا يجب أن يكون بهذا السحر ؟! " نفضت تلك الأفكار وأحضرت مجلد جدى وجلست على كرسية الذى يطل على البحر ، أغوص فى أعماق القراءة حتى أتناسى !

الفصل التالى : رسومات جدى تزينه ... قلب كبير قد خرج منه النبض ... ووجه قد احمرت وجنتاه ... ودهشت عندما رأيت عنوان الفصل التالى .. وكأنما كل الدنيا قد اتفقت على !!!

***

الفصل الرابع :

" العشق " ..

ما أدركته لدى ارتباطى بـ " يقين " من أصعب وأثقل الأشياء على القلب أن تحبس بداخله حبا لا يمكنك إخراجه ، أن تحاول أن تكتم ما تفضحه عيناك ! أن تحاول الابتعاد كلما أردت الاقتراب ! أن ترتبط أنت بالحدود وقلبك لا يقف عند أى حد ! بل يطير فى السماء طليقا ! إن من أصعب الأشياء أن تحاول أن تبعد تفكيرك عما يعتمل به قلبك ! إن من أكثر الأشياء إحساسا إن تتساءل عن إذا كان ذاك الشخص الذى ينبض به قلبك لأجله هو قدرك أم لا ؟! وهل يا ترى سيكتبه الله لك ؟! ولكن أكثر الأشياء طمأنينة أن تدعى الله فى كل صلواتك أن يجمعك الله به وأن يقدر لك الخير حيث كان ثم يرضيك به ، ثم تنم مطمئنا وتدعو الله فى سرك !

هكذا كنت أشعر قبيل خطبتى لـ " يقين " كنت أدعو الله دائما أن يجمعنى بها ويقربنى منها إن كان ذلك خير ، ولما أتم الله على ذلك حمدته كثيرا ، ولما عقدت عليها دعوت الله أن يرزقنى حبها ، أدركت بعدها أن العشق نبتة إذا لم ترعها وترعى شمسها وهوائها تموت ! فإنما الاهتمام موصول بالعشق إن وجد وجد وإن نفى انتفى ! وأدركت أيضا أن العشق ما هو إلا أولى المراتب بعد الحب والعشق يتحول إلى مودة ورحمة تدوم إلى ما بعد الزواج إن شاء الله ، وأدركت من "يقين " كيف للمرأة الذكية أن تحافظ دائما على مسافه مناسبة فلا هى قريبة حد الاختناق ولا هى بعيدة حد الجفاء !

إلا أن عشق البشر لا يضاهى ذلك العشق الذى سمعت عنه " عشـق الله " ، وهو على ما فهمته وما ارتأى لى أن هذا مرتبة الإحسان " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإان لم تكن تراه فإنه يراك " ، أن تعبد الله

ليس خوفا منه فقط بل حبا به وتلك عبادة الأحرار ، أن تعبد الله لأنه أهل للحب وأنه لدى ذكرك له يطمئن قلبك ، أن تصل فى الصلاة إلى الارتباط الوثيق الذى هو أصل الصلاة بين الله وبينك ، أن تصبر على قيام الليل أملا فى أن تنول حلاوته يوما ! ولكن أى عشق للبشر هذا الذى أُقارنه بعشق الله – جل فى علاه – وله المثل الأعلى .. إن عشق الله يحتاج إلى ارتقاء الروح حتى يرتقى الجسد ، إن عشق الله يحتاج إلى إنعاشا للقلب ، إنعاشا يتصل بكل خليه من خلاياك فتشعر به ! مهما تكلمت عنه فماذا يتمه ؟! إن الكلام ليعجز أن يتم ذلك ، كلام قليل أمام إحساس عظيم ! إن الشعور العظيم هذا لن يفهمه إلا من تذوقه وصبر على الطريق حتى يصل ! أدعو الله فقط أن أصل وأن يذيقنى الله حلاوة محبته

عودة إلى عشق البشـر ...

عشق البشر هو شعور يأتى دون تخطيط مسبق ودون سابق إنذار ، هو شعور مسكر ، هكذا حدث معى عندما رأيتها شعرت كما لو أننى فى عالم مغاير ، ولكن الأمر الغريب أن هذا الشعور يستمر كلما رأيتها أو سمعت صوتها ولكن العشق الحلال الذى رزقنى الله إياه يختلف عن هذا الذى سمعت عنه ، فهذا العشق يجعلك تمتنع عن أى شئ لا يحل لك قبل موعده ! ويجعلك تحاول قدر إمكانك أن تنفذ القاعدة الفقهيه " من استعجل شيئا قبل أوانه ، عوقب بفقدانه " ثم تتذكر القاعدة الأخرى " من ترك شيئا لله ، عوضه الله خيرا منه "

العشق هو كذلك ما بين خوف واطمئنان ، ما بين رجاء ورغبة ، هو أن تجاهد نفسك فتمنعها وتحافظ عليها حتى تحافظ على من حولك ، العشق الحلال هو ما يرتقى بك ولا يهبط بك إلى أسفل الطرقات ! هو ما يعينك على طاعة الله وهو ما يكسبك أشياء تغذى بها روحك ، هو أن تصبح أقل الأشياء ذات أهمية بالنسبة إليك ، الابتسامة ... النظرة .. أو أى شئ يتعلق بالجانب الآخر ، العشق الحلال هو الذى يمنعك من المعصية ويعينك على الطاعة ، إن من أغرب الاشياء التى تتعلق بالعشق أنه دائما ذو علاقة طردية ، فإذا اقتربت زاد وإذا ابتعدت زاد !! غريـب هو ..

العشق هو شعور يجتاحك لا تدرى من أين يأتى ؟! ولا كيف أتى ؟! إن العشق هو شعور موجود فى النفس والمجاهد فى هذا المقام هو من يستطيع أن يكبح جماح نفسه ويوجه مشاعره ويسكنها حتى تخرج فى وقتها المناسب الذى أحلاها الله له ، ليس بالأمر اليسير " مجاهدة النفس " إلا أنه واجب ، أحمد الله أن ساقنى إلى "يقين " وجلعها حلالى ورزقنى حبها وعشقتها فى الوقت الذى أحله الله لى وإلا فالله أعلم إن كنت سأصبر على نار عشقها أم لا ؟! فالحمد لله من قبل ومن بعد !

والعشق عندما يحدث تظهر علاماته ، لمعان فى العين ، ابتسامة دائمة حين الرؤية واحمرارا فى الخدين لدى الفتاه ، مفضوح هو أو هى بما تقرأه فى عينيهما ، فإذا أصابك العشق فى غير موضعه فليس لك طبيب إلا الله ، وإذا أصابك العشق فى موضعه فحاول تخفيف أجيج ناره بالدعاء ، أدعو الله دائما أن لا يعلق قلبك إلا به وأن يقربك منه وأن يردك إليه ردا جميلا كلما ابتعدت ، فهو الدائم والباقى والمعين ...

انتــــــــهى

***

انتهى الفصل هاهنا وأنا ما زلت هناك بين جنبات الكلمات ، عندما يصير الكلام عن العشق وأمامك البحر بأمواجه وحركاته وسكناته ونسيم هواءه الذى لا يضاهى ، فحدث ولا حرج .. ، ظللت انظر إلى البحر وأسبح فى كلمات جدى وأتساءل عن العشق وعن التوقيت وتلقائيا انطلق ذهنى إلى " حمزة " وظللت أتحسس الطريق قبل أن أدخل هذا المنعطف ..

هل .. هل يعشقنى ؟! ثم انفض هذا السؤال من رأسى سريعا .. إن الوقت الذى لبثناه معا لا يؤدى أبدا إلى درجة العشق ؟! ولكن عيناه .. أنا لا أعلم أبدا شيئا عن عيناه ! كيف لى أن أعلم الآن ؟! ولماذا لا يكون السؤال هل أنا أعشقه ؟! وهنا ارتج قلبى وخفق .. وظل البحر يراسلنى بنسماته إلى !

كنت أتطلع إلى البحر ووجدت " حمزة " قادم نحوى ، لم أفعل شيئا سوى أن وجدت عيناى تلقائيا تنظر إليه وتطلع إلى قسمات وجه وتتفرسه ، أحاول أن أعاين الابتسامة والنظره إلا أنه كان لديه ثبات انفعالى لا يضاهى ! لم تكن تظهر عليه سوى ابتسامة هادئة وملامح مرتاحه ..

ظللت كذلك حتى اقترب من المنزل فوضعت المجلد وخرجت إليه .. ، ابتسم لى واقترح على أن نذهب إلى البحر قليلا .. فوافقت

سرت بجاوره فى طريق البحر ، ولما كنت شاردة فى تلك الكلمات لم أنتبة إلى الحجر الذى أمامى كدت ان أقع على وجهى لولا يداه التى تلقفتنى بحركة سريعة ولا أعلم ما الذى أصابنى بعدها ، فقد سرت فى جسدى قشعريرة كما التيار الكهربائى وأصبحت غير قادرة على الحركة ، وعندما وقعت عينى على عينيه شعرت حقا أننى أذوب بهما ولم أنتبة إلى وضعى إلا عندما سمعته ينادى على ! فاستفقت سريعا وعدلت من موضعى !

جلسنا على البحر ولم أستطع أن أنبس ببنت شفة، كنت أحاول قدر إمكانى أن أطرد ذلك المشهد من ذاكرتى وأحاول أن أركز على كلام " حمزة " القليل إلا أن ذهنى كان مرتبكا ارتباكا شديدا فلم أستطع التركيز هنا أو هناك ! عدنا إلى المنزل وما زال قلبى هناك ما بين الكلمات وذاك المشهد !!

***

عندما ذهبت إلى " سنا " وجدتها تطلع بتفرس فى وجهى كأنما تبحث عن شئ ما ، وأدركت إلى أي فصل قد وصلت ، فابتسمت وفقط ! وعندما خرجت إلى كانت شارده جدا ، هكذا دائما وقع تيك الكلمات فهكذا دائما وقع كلمات من القلب إلى القلب ! كنت أعلم تماما معنى أن تخترق كلمة فؤادك فيدركها قلبك قبل أن تقرأها عينك !

عندما تلقفتها بين يدى لئلا تقع ، شعرت كما لو أنها صغيرتى بين يدى وشعرت بتلك القشعريره التى يشرعها كل مقدم على فعل جديد إلا أن تلك القشعريرة قد أحببتها مذ قبلتها على جبينها ، إلا انها مذ تلك اللقفة وهى متغيرة تماما حاولت أن أتحدث معها إلا أننى شعرت بأننى أثقل عليها ففضلت الصمت ! كنت أشعر كما لو أن عاصفة داخلها ، كان ذلك يظهر جليا على وجهها رغم صمتها !!

كنت أنظر إليها بين الحين والآخر أحاول أن أقول لها أننى بجانبك إلا أننى شعرت أن من الأفضل لها ولى أن نعود إلى المنزل فأحيانا تحتاج إلى الهدوء أكثر من الكلام ، تحتاج أن تختلى بنفسك حتى من أقرب الأشخاص إليك !

***

عندما عدت إلى المنزل كان عقلى وقلبى فى صراع ! حاولت ان أنفض عنى ذلك الصراع وتوضأت وحاولت قدر إمكانى أن أركز فى صلاتى حتى سجدت ، أو تعلم ذلك الشعور المختلط الذى يتصارع بداخلك فيقيد لسانك ، حتى إذا لمست رأسك الأرض انعقد لسانك وصارت الكلمة الوحيدة القادرة على وصف ما بداخلك هى كلمة " يا رب " وكفى بها كلمة .. هكذا فعلت أنا !!

ظللت بغرفتى طيلة اليوم فما كنت أحتاج إلى رؤيته فى مثل هذا الوقت لئلا تندلع عاصفة أخرى بداخلى وتلك العاصفة لم تهدأ بعد ! حاولت أن ألهى نفسى بقراءة كتاب أو الجلوس فى شرفة غرفتى وأتأمل ، إلا أن هذه المرة جعلتنى أنسى كل شئ سوى ذاك المشهد وذلك الصراع الذى يأبى إلا أن أحسمة ، كان قلبى

يحدثنى أن هذا هو بداية انجذاب وعقلى يحذرنى أن أنجرف فى ذلك الدرب ، ظللت هكذا زمنا عقل يفرمل وقلب يضغط البنزين ! وتظل العربة تصدر ضجيجا ولا تتحرك ! انقضى وقتا طويلا وحل الظلام وكنت أتمم الصلوات ثم أعود لأتأمل ، كنت أريد أن أنهى ذلك الصراع إلا انه كان يتفاقم كلما حاولت إنهاؤه ! قررت أن أفرغ ما بى من طاقة سلبية بعد ما عجز التأمل عن فعل ذلك .

ارتديت "السويت شيرت" وقصعت شعرى إلى الخلف ولما كان الوقت متأخرا ، كنت مطمئنة أن لا أحد وخاصة هو سيرانى ، دخلت إلى الغرفة وكانت الصدمة أن وجدت " حمزة " وهو يرتدى الحلة الرياضية التى تزيدة وسامة ، ولما كان ارتباكى وخجلى قد وصل إلى حد بعيد خاصة بعد أن تذكرت أننى أقف هكذا للمرة الأولى أمامه ! ولاخفاء ذلك قمت بالصراخ عليه " لماذا أنت هنا ؟! " وماذا تفعل فى ذلك الوقت ؟! "

كانت بداية رده أن ابتسم ثم واصل " استئذنت عمى أن أمارس بعض الرياضة هنا بعد أن أخبرنى بوجود تلك الغرفة ، وانتظرت الجميع أن يناموا لئلا أقيد حركة أحد ، ولم أكن أعلم أنك تظلين مستيقظة حتى ذلك الوقت "

ابتلعت ريقى ثم قلت له " حسنا أريد أن أمارس بعض الرياضة الآن "

ففاجأنى بجوابة " وأنا أيضا "

فأجبته وأنا متفاجئة " ولكنها غرفتى أنا "

صدمنى بإجابته " ولكننى قدمت أولا "

فقلت له " ماذا تقول ؟! حسنا ما العمل الآن ؟!

قال لى " لم لا تعودى الآن ثم تعودى صباحا ؟! "

صرخت به " أنا أعود ! لم لا تعود أنت ؟! هى بالأساس غرفتى أنا !

صمت قليلا ثم قال لى " حسنا أنت تلعبين الكارتيه فلم لا نتقاتل إذن ؟!

تفاجأت من العرض إلا أننى تذكرت موقفه مع ذلك الشاب فاطمئن قلبى ووافقت ، حاولت نفض أى فكرة أخرى عن تفكيرى والتركيز على القتال ، كان هو يبتسم تلك الابتسامة الهادئة ، ما إن بدأنا القتال حتى اكتشفت أنه يجيد فنون القتال فى المستويات القدمة ! وخلال القتال قررت أن أسأله " لماذا لم تقاتل هذا الشاب ؟ " كان يصد ضربتى ويجيبنى " ألا لأننى أثق بقدرة عقلى أكثر " صدمت إلا أن الرد أعجبنى ! ظل القتال مستمرا إلا أن الحق يقال فقد كان ماهرا ، كاد أن يردينى أرضا إلا أنه التقطنى قبل أن أقع ولأول مره أشعر بأنفاسه قريبة هكذا ! دفعته بعيدا وجريت إلى غرفتى وقلبى يكاد يخرج من بين أضلعى من كثرة خفقانه !

أغلقت الباب ووقفت خلفة أهدئ من خفقات قلبى ، وبعد لويحظات وجدت طرقة خفيفة على الباب فارتعدت وتركت الباب وتحركت إلى الأمام وظللت واقفة لا أستطيع أن أفتح الباب ولا أن أتقدم خطوة واحده ! وعندها وجدت ورقة ألقيت من تحت الباب فأخذتها لأقرأها " على ظهرها كتب عليها " كنت فقط أريد أن أعطيك هذه الورقه " وكتب من ناحيتها الأخرى بيت شعر رائع " *البدر يكمل كل شهر ليلة ..... وهلال وجهك كل يوم كامل* "

قرأت الرسالة مرة واحده وخفت من تأثيرها فوضعتها جانبا وجلست على السرير وأتيت بكتاب وظيفته فقط أن يحول بينى وبين النظر إلى تلك الوريقة ، ظللت كذلك حتى ذهبت فى النوم !

***

كان النوم يجافينى ولا أستطيع النوم فقررت أن أذهب إلى الرياضة قليلا بعدما أخبرنى عمى عن الغرفة ، ارتديت ملابسى وصعدت وبعد قليل وجدتها أمامى وقد تغيرت تماما ! فهى ليست بحجابها كما أن ملابسها الفضفاضة تغيرت تماما ! فهى ليست هى وأنا .. أنا أصبحت لست أنا !!!

كانت مرتبكة ووجنتيها محمرة وتحاول أن تغطى على ذلك بالصراخ ولكنى زدت من استفزازها حتى وصلنا إلى القتال ، وكدت أن أرديها أرضا لولا أننى لحقت بها قبل أن تهبط كليا على الأرض ولما كانت قريبة منى

إلى ذلك الحد فقد دفعتنى بعيدا وهرولت نحو غرفتها ! ووجدت أنا الشوق عندى يزداد فقررت أن أهدأه ببضعة كلمات كانت قد حضرت إلى ذهنى عندما رأيتها .. ثم بعثتها إليها !

***

فى الصباح الباكر حاولت أن أذهب قبل أن يستيقظ هو واستئذنت والدى للخروج وأخبرته أنه نائم وأنا لا أريد أن أقلقه ، هرولت سريعا نحو البحر ليتسع لى ومجلد الجد الذى أحاول أنا أن أحتويه ! وما إن وصلت حتى وصلتنى رسالة منه " أخبرى البحر أننى أصبحت أشتاقه أكثر من ذى قبل ... " أربكتنى الرساله أكثر ! فقررت أن أذهب وأتناسى قليلا فى مجلد جدى ..

فتحت المجلد على الفصل الخامس ووجدت جدى قد رسم علامات استفهام كثيره ! وقلب كبير مكتوب بداخله اتسااااااع ، وصورة المسجد الأقصى فى الخلف والأشجار من حوله ، ورسم أيادى قد تجمعت وكتب فوقها "كنتم خير أمة " !!

وعنوان الفصل التالى ... قد كتب فى المنتصف

الفصل الخامس :

" الأمــــة !! " ..

الأمة ؟! ما تزال تلك الكلمة إلى الآن في قاموسى لا أعلم لها تعريفاً منطقياً !

هى شئ أشبة بالعائلة بل هى أكبر

، هى شئ أشبة بالتجمع فى صلاة الجمعة ،

أشبة بالتجمع فى صلاة جماعة ،

هى شئ عميق كما الصلاة

هى شئ بسيط ولكنه مهم كما التسوية فى صفوف الصلاة

، هى شئ صغير لدرجة أنه قد يكون فى شخص واحد وقد حدث بالفعل كما قوله تعالى " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا .. "

أو أنها الشئ الكبير حد أنها يمكن أن تتوزع على ملايين الأشخاص !

هى شئ لا يوصف بكلام ولكنها يُحس ويشعر بها ،

هى شئ تراه كما فى الصدقة أو الابتسامة وردها ،

هى شئ تسمعه فى إقامة الصلوات أو فى بكاء عال فى خشوع فى صلاة !

هى شئ تشعر به فى طبطبة على كتفك حال تعبك وتشعر به فى مساعدتك حال مرضك

هى شئ ليس كالشئ ، شئ لا يمكن رؤيته ولا يمكن سماعه ولا يمكن الشعور به لدى كل البشر !

هى شئ أمام كل الناس إلا أنه لا يُرى !

هى شئ مهم للحياه إلا نها كالهواء ! بالاختصار هى لا تُختصر فهى شئ مختلف تماما !!!

توصلت بعد تفكير إلى شئ قد يوفِّ جزءا من كلمة الأمة ..

الأمة أن تشعر أنت كقائد فى أقصى البلاد بمن فى أدناها !

الأمة أن تجعل كل فرد من أفراد رعيتك يشعرون بكل فرد داخل الأمة ..

الأمة أن تدرك ويتأصل بداخلك تماما معنى قوله تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس .. "

هو أن تدرك تماما وتعى بمعنى الاستخلاف فى الأرض " إنى جاعل فى الأرض خليفة "

الأمة أن تتخلى عن أنانيتك لتشارك الجميع ...

الأمة أن تتبدل الأنا بالأمة .. وأن ينبع منك إنكار ذات لتحيا الأمة !

الأمة .. أن لا تنعزل بنفسك ، بل تكون داخل المجتمع حتى لو تكالب الناس ضدك !

أن تحمل هم الأمة .. فتتكلم من أجل الأمة وتفعل من أجل الأمة !

الأمة .. هى كل أرض ذكر فيها اسمه تعالى ...

هى كل أرض كان مسلم عليها .. فلا تعنيك حدودا أقاموها يوما لتفريقها !

الأمة هى أن تكون نصب عينيك دائما فتعمل من أجل رفعتها !

هى أن تدرك أنك على ثغر من ثغور الإسلام وتباعا فأنت على ثغر من ثغورها فتحاول قدر الإمكان أن لا تُؤتى من قبلك الأمة : هى قولك فى الأذكار " وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت " فيكون العهد أن تبنى والوعد أن تستمر

الأمة .. هى كلمة داخل كل مسلم .. شاء أم أبى هى به ، فمنهم من يقيمها ومنهم ...!!

فالأصل فى الأمة هى أنت ! والحقيقة أن الأمة تتقدم بتقدم أبطأ فرد فيها ! فإذا لم يكن أهل العزائم موجودين ومرابطين على ثغورها ضاعت الأمة !!

فى بداية العشرينات كان معنى الأمة يلح على بشدة ، فكانت كلمة الأمة تتمثل لى فى أشخاص أقاموها فكانوا "أمة " قبل أن يبنوا أمة !

أدركتها ولمستها حقا وكل من يقرأ عنهم يلمسها .. فى سيدنا " عمر " ورأيتها فى إصرار " محمد الفاتح " لفتح القسطنطينة ، وشعرت بها فى حمل همها لدى " صلاح الدين الأيوبى " ورأيتها فى تربية أبيه وأمه لحمل تلك المهمة ، عايشتها معاصرا فى " د/ فاروق الباز " عندما وضع سورة " الفاتحة " على سطح القمر .. فكانت أول شئ وضع عليه !

عايشتها فى " د/إبراهيم الفقى " عندما كان يحاول فعل شئ جديد ويحاول فقط إحياء أمة وإحياء الإسلام ..

ومن كثير من الشباب بدأوا فى الظهور وكنت أرى فيهم انهم يريدون إحياء أمة ..

رأيتها فى مدة حكم سيدنا " عمر بن عبد العزيز " فرغم قِصر المدة .. فقد أقام أمة !

كنت أرى أولئك من حولى ، ثم أعود لأتسائل " هل أنا أمة !!؟؟ "

هل أفعل كل شئ من أجل الإسلام ؟! من أجل رفعة الأمة ؟!

وما هى مركزيتى ؟! أمركزيتى فعلا الله أم أن الهوى يدخلها أحيانا ؟!

إلى نهاية حياتى لا أعتقد أننى سأصل إلى جواب ، إلا أننى كل ما أرجوه أن أكون قد وضعت ولو حجر فى صرح الأمة ! أن أكون قد خطوت خطوة فى مسيرة الأمة !

أعلم وأدرك أننى قد تزوجت لأنجب أولادا يكونوا هم أمة إن لم أكن أنا ! ويكملوا المسيرة إن لم أكملها أنا ! فما الزواج إذن إن لم يكن إرضاءا لله تعالى ! ما الزواج إن لم يكن لهدف سام أحاول به إحياء أمه أو أن أكمل استخلاف الله لى فى الأرض !

سأربيهم بإذن الله على ذلك ومعى حبيبتى " يقين " إن شاء الله ..

فاللهم لا تمتنى إلا وقد استخدمتنى ، اللهم واجعلنى حجرا فى صرح الأمة !

انتـــــــــهى

عندما انهيت الفصل ، كان ذلك السؤال يتردد فى ذهنى ، فماذا فعلت ؟! وهل كنت أو أكون أمة ؟! ..
ما نيتى فى زواجى ؟ وما نيتى فى عملى ؟!
أدركت حينها أننى أحتاج إلى جلسه مع نفسى ، أحاسبها وتحاسبنى !!

وأنا أفكر ... وجدت سيارة " حمزة " تقترب فابتلعت ريقى فأنا أهرب منه ، فماذا أقول الآن ؟!
وقف " حمزة " أمام المنزل وأطلق مزمار السيارة ، فأودعت مجلد جدى مكانه وفتحت الباب وذهبت إليه !
دخلت السيارة وألقيت تحية الإسلام فردها وابتسم ، ثم سألنى عن حالى .. فأخبرته أن الحمد لله وساد الصمت !
حاولت أن أدير المذياع لكى نسمع شيئا يبدد ذلك الصمت إلا أنه – لا أعلم لسوء الحظ أم حسنه – أنه فكر فى ذات التفكير فى ذات اللحظة ، فتلاقت أيادينا وما إن حاولت إبعادها حتى أمسكها بين يديه وأبى أن يتركها ، كما أننى لم أحاول أن أنتزعها كما سفينة وجدت مرساها ! وما إن وصلنا إلى المنزل حتى أغلق السيارة ونحن بداخلها ! وقرّب وجهه إلى وأنا يزداد توترى واحمرار وجهى ثم قال لى بابتسامة " أرى أن يديك وقعت أسيرتى ، وقريبا قلبك "

من شدة توترى لم أنطق بحرف سوى أن صمت ، ثم أطلق سراحى كما إطلاق سراح عصفور أسير وانطلقت قدماى تسابق الريح ! دخلت إلى المنزل وسلمت على والدىّ وجدتى وصعدت إلى غرفتى ، بعدها بقليل نادتنى أمى لتناول الغداء ومن شدة توترى لم أبدل ملابسى ، جلست إلى جانبه على الغداء ونبضات قلبى فى تزايد ، احترت لأنى لم أجد أى رد فعل على وجهه كأن شيئا لم يكن ! وفجأة كنت أعدّل من وضع ملابسى وجدته قد أمسك بيدى ويبتسم ابتسامة هادئة ثم غمز لى أن اهدئى بعدما احمرت

وجنتاى ولم أستطع الانتهاء من أكلى أو الكلام معهم ! ولكى أهرب من ذلك الموقف استئذنت وذهبت إلى غرفتى !

بعد قليل قدمت إلى أمى ونبهتنى إلى أننى أجلس أمام " حمزة " باستمرار بحجابى وهو الآن حل لى ! وأمرتنى أن أذهب لتبديل ملابسى لنجلس معا جميعا ، والأصل أننى لم أكن بحاجه لتذكير ولكنى كنت وجلة من اتخاذ هذه الخطوة ، ولكننى الآن مضطره ! وقررت القيام بتلك الخطوة فى هذا المرحلة ، شعرت أننى الآن إلى حد ما مستعدة !

وقفت أمام خزانة ملابسى متحيرة .. ماذا أرتدى ؟!
حتى وقع ناظرى على فستان متوسط الطول لونه أخضر فيروزى يصل إلى ما بعد الركبة ويغطى ثلاث أربا ع الذراع وقمت بفرد شعرى ثم ضممته قليلا بمشبك ، ووضعت مكياج خفيف ، ونظرت إلى نفسى فى المرآه وتوترت ! فذهبت إلى الشرفة أهدأ من توترى وأتفكر كيف لى أن أخرج هكذا ؟!!

شرفتى تطل على بوابة المنزل ، رأيته قادم ونظره على ولمحت ملامح الغضب بادية على وجهه ! يشير إلى بجدية تامة إشارة لا أفهمها فقد كان كل تفكيرى منشغلا لم هو غاضب هكذا ! وما إن وجدنى لا أفهم الإشارة حتى انطلق كالبرق ووجدته فجأة يطرق الباب ! فتحت له وأمارات الغضب بادية على وجهه إلا أنه قدر الإمكان يحاول تهدئة صوته ويسألنى " كيف تخرجين إلى الشرفة هكذا ؟! من شدة صدمتى وعدم فهمى لم أستطع الإجابة ! كان حجابى ملقى على السرير فأمسك به واقترب منى ووضعه على رأسى ، ثم أمسك بى ووجهنى إلى الشرفة فرأيت شابا يجلس مع والدى ، احمر وجهى ونظرت إليه قائلة " أنا لم أكن أدرى أنه هنا ! " لان وجهه وابتسم وقال لى " أنا أعلم "

دخلنا إلى الغرفة وبدأ يتأملها ويبدى إعجابه بها وأنا مندهشه ! كيف وصل " حمزة " إلى غرفتى الآن ! ولم أبدو متوتره هكذا ! ثم توجه إلى المكتبة وانتقى رواية ظل يقلب بها ويقول لى " هذه من أفضل الروايات

التى قرأتها وأحببتها وعلمتنى الكثير " ، كانت تلك من أفضل الروايات عندى أيضا ، ثم صمت عندما التقط ورقة بداخل الرواية وقرأ ما بها ، وهنا تذكرت أنها تلك الرواية التى وضعت بها ورقته البارحة عندما أردت أن أنام ! وأحرجت أن يراها أحد .. فوضعتها هناك ! نظر إلى وابتسم ثم قال لى بفكاهه " شاعر هو قائل هذا الكلام ، ومرهف الحس من بعثه " فابتسمت ولم أستطع الإجابة !
اقترب منى وخلع عنى الحجاب وقال لى " هذا القمر ملك لى أنا وحدى فقط ، دمت لى رفيقة وحبيبة وزوجه " أمسك يدى وقبلها ثم قبل جبينى وذهب ! وذهب جزء منى معه !

***

كنت أريد أن أصل إلى قلبها فأتقرب منها الهوينى كما فى موقف السيارة ، مع الأخذ فى الاعتبار أن لا أدخل إلى منطقة محرمة لديها ولكن فقط أطرق الباب !

كنت ذاهبا لإحضار بعض أوراق العمل من السيارة لأعمل عليها ، عندما دخلت كان عمى يستقبل إحدى الشباب الذى يعمل لديه ، وكانت " سنا " واقفه فى الشرفة ظهرها لمكان جلوس عمى وضيفه إلا أنها كانت من دون حجاب ! استشطت غضبا فحاولت أن أشير إليها لتذهب إلى الداخل فلم تتلقى الإشارة ! فهرولت إليها مسرعا ودخلت لها وأوضحت لها الموقف ، ولكن استوقفنى أنها كانت كالقمر حقا ولا أبالغ ، كان لون فستانها يتناسب مع لون عينيها ويزيدها جمالا على جمالها ! وما أسعد الإنسان عندما يدرك أن القمر ملكه وحده فيريد أن يخبئة لينعم هو بنوره ! لو ظللت بمكانى لظللت أنظر لها باستمرار فحاولت أن أصرف انتباهى بتصفح المكتبة ، ولما وقعت الورقة فى يدى شعرت كما لو أن قلبها قد وقع فى رجليها وازداد احمرار وجنتيها ! عندها أدركت أننى أعشقها بل وأهيم عشقا بها ودعوت الله أن تصير معى قريبا

***

وأنا هائمة أحاول إدراك ما حدث منذ قليل ، بعث إلى برساله " يا هائما قلبى يطير .. يا غائبا عمرى قصير " وتهيأ إلى أننى أسمع ضربات قلبى ورحت أتساءل " أهذا بداية طريق العشق أم ماذا ؟! " رن هاتفى المحمول وإذا بـ"ليلى" تتصل وتكيل لى الشتائم والعتاب على غيابى وعدم اتصالى بها ! اعتذرت لها واتفقنا على لقاء قريب بعد غد .. بعد استئذانى من والدى و" حمزة "

نادت على أمى لأنزل فأجلس معهم . وأنا أحدث نفسى أهذا وقته !؟

نزلت وجلست معهم وكان والدى و "حمزة" يتحدثان عن العمل ولم يمنع هذا " حمزه " من أن يبعث إلى بنظرات شوق تضرب سهامها فى قلبى ، أخذت والدتى وجدتى تتحدثان عن الزفاف وما ينقصنى وهكذا .. ثم انطلق الحديث عن الأمة وكيف صارت ؟! وكان والدى و " حمزة " متأثران جدا يتابعان الأحداث ويتناقشان ، نسيت توترى وظللت أتحدث وأتناقش وأسأل و " حمزة " يبتسم لى ويجيب أسئلتى ...

تفرقنا لكى ننام وجدته قد بعث إلى برسالة " لم أكن أعلم أن رفيقتى على كل هذا القدر من الجمال والذكاء ، أدمها اللهم نعمة على " ، بعد قليل وجدته قد بعث إلى برسالة أخرى ... " أوتدرين أمرا لم أقله لأحد غيرك ، ولكنك الآن رفيقة دربى فيجب أن تعلمى ... أن من إحدى أحلامى .. أن أستشهد فى القدس .. فهلا دعوت لى ؟! "

لا أعلم لماذا قلبى قد قبض ؟! ثم بعثت إليه سريعا " أحقا ما تقول ؟! " فرد على " حقا .. رفيقتى "

لم أستطع الرد فقط ظل يتردد على لسانى " اللهم احفظه لى وبارك لى فى عمره " ثم بعثت إليه " اللهم امتنا إن كان الموت خيرا لنا وأحيينا إن كانت الحياه خيرا لنا ، رزقك الله عمرا مديدا فى طاعته "

وكأنه شعر أننى تألمت فبعث فقط : اللهم آمين .. تصبحين على جنة حبيبتى " .. بعثت إليه فقط بوجة مبتسم

صباحا استئذنت أبى أن أخرج مع " ليلى " ووافق .. وأوصلنى " حمزة " إلى منزل جدى واستئذنته كذلك فأذن لى واتفقنا أن يمر على لأعود معه وانطلقت أنا على فراشى ، أحاول أن أتم المجلد فى كل حرف فيه لى رساله ..

فى الفصل الجديد .. مدخل الفصل مكتوب فقط على أبوابه بيت شعر ..

" قولوا لها ما زلت أهواها .. مهما يطول النوى لا أنسى ذكراها .. "

***

الفصل السادس :

" العلم والعمـل " ..

العلم .. هو كل منهل تنهل منه فتستزيد ولا تكتفى ..

العلم .. أن تبحث وتبحث فتصل ولا تصل فتستزيد

العلم ليس أجوفا كما يقول البعض ..

كل الأمر منوط بالذى يلقى العلم أولا .. فإن كان محبا له ظهر ذلك فى كلامة وفى إيصاله للمعلومه ، وإن كان لا يشعر به ظهر كأنه يبغضه ، كأنه فقط يريد أن يتخلص من علم زائد على كتفيه !

من أنار الله به عِلْما .. كان علَما ..

إن أمر العلم هذا عجيب ، يمكن لصاحبة أن يرفعه أو يخفضه ...

والحقيقه المُرة أن قليل قليل من يصل إلى روح العلم فيوصلها لغيره !

والحقيقة المُره أيضا أن قليل قليل من طلاب العلم هم أهل للعلم !

والحقيقة التى لا جدال فيها أن ما ندرسه لا يصل حتى إلى ربع نسبة ما نريده ونحتاجه لمعيشتنا !

وأن من خرج من منظومة التعليم العقيمة وبه بضع روح سليمة ، فإنه يتعلم التعليم الأصلى بعد انتهاءه من مرحلة التعليم تلك !

أما أنا فقد كنت أدرك تماما مفهوم التعليم الذى أريده ، كنت أريد علما هو فى أصله غذاء لروحى يعلو بها كلما تعلمته

كنت أريد تعليما فى أمور التخصص إلا أنه متصل بالإسلام ، فليس منافى أبدا أن تدرس علما فى الاختصاص وتجعل ثوابه لله والإسلام فقط عندما يغرز فيك أن كل علما يتصل بالله زائل كما أن كل عمل لغير الله زائل !

عندما تدرك تماما أن هذا العلم يحتاجك كما تحتاجه ..

فأنت تحتاجه لترفع شأنك وبالتالى شان أمتك .. وهو يحتاجك كى ترفع شأنه هو وتوصله لشتى بقاع الأرض وتجعل صلته بالله والإسلام لا محالة !

عندها فقط سنرى طلابا مقدمين على العلم والتعلم غير آبهين بعقبات الطريق !

عندها فقط سيجتهدون قدر المستطاع أن يمنعوا أنفسهم عن المعاصى ويدركون تماما أنها كما ستضرهم فى آخرتهم فإنها ستضرهم فى دنياهم وعلمهم ..

وعندها سيقع قول الشافعى فى قلوبهم فقط عندما يكون لديهم أستاذ ك " وكيع " :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى ..... فأرشدنى إلى ترك المعاصى ..

وأخبرنى بإن العلم نور .... ونور الله لا يهدى لعاصى !

أتدرك معنى العلم نور ؟!

من يقرأ القرآن واستقر فى قلبه وفهم وعقل تفسيره فظهر الشجن واللحن الجميل فى صوته فاخترق الصوت الآذان فوصل إلى القلب واستقر أيضا لدى السامع !

العلم فى ذاته مرتقا صعبا كلما بلغت فى العلم كلما ازدادت همومك لأنك صرت على دراية أكثر من غيرك !

وكلما بلغت من العلم كلما ازددت تكليفا وكلما زاد جهدك ! كلما كان همك أكثر أن يصل إلى أكبر قدر

من الناس

"بلغوا عنى ولو آيه "

أما العمل ... فهو من يختبر قدرتك على الصبر .. يختبر إيمانك بالله والقدر !

مخطئ هو من يظن أن العمل يسير على منوال واحد ونمط واحد .. إن العمل فى سيره أشبه بالبحر .. أوقات هادئ وأوقات أمواجه عاليه . وأنت فى عملك كما القبطان ، عليك أن تقود سفينة العمل لتصل إلى ما تريد !

إن من أكثر وأعظم اختبارات العمل أن يفتح الله عليك بالأموال ، فعندها تكون على المفترق .. إما أن تؤدى لله حقه وإما ان تخاف على الأموال وتحتفظ بها لنفسك ، رغم أن الله رازقك !

ومن أعظم الاختبارات والابتلاءات التى قد تواجهك .. أن تحتفظ بمبادئك وقيمك .. خاصة إذا كنت تعامل أكثر من شعب وأكثر من تفكير فى أكثر من دولة .. وأعظمها أيضا أن تحاول أن تفهمهم أن ما تفعله هو تعاليم الإسلام .. تعليم دينك التى لا تقبل فيه المساومة ..

أن تكون أنت تمثل الإسلام ..! أن تكون أنت الإسلام فى عيونهم ! من أصعب وأخطر الاختبارت ، تكتشف بها كم أنت مقصر فى حق دينك وعبادتك وربك !

لو كل شخص فينا بحث فى نفسه كيف بعلمه وعمله يخدم الإسلام ، لاستطعنا إصلاح الأمة !

فى عملى صبرت كثيرا ، وكنت أدعوا الله دوما أن يرزقنى من حيث لا أحتسب ، كنت أمر باختبارت عسيره هى فى الأصل اختبارات لقيمى وقناعاتى الشخصية ! وأدعوا الله فقط أن أن لا أقع فى أى اختبار كنت أدعو الله دوما أن أمثل الإسلام بصورة جيده ! أن لا أجعل أحدا ينفر من الإسلام بسبب فعل قد فعلته بعفوية دون التفكر به !

عـودة إلى العلم ...

العلم بالنسبة إلى كان فى القراءة وكنت ذو نهم شديد ، اقرأ فى شتى المجالات لأنى كنت أبحث عن طريق أساعد به الأمة و أكون أنا أمة !

وكلما نظرت إلى ترتيب الكتب الذى ساقه الله إلى فقرأتها ، حمدت الله وشكرته ، فكان كل كتاب اقرأه بمثابة حجر فى الطريق !

كانت " يقين " أيضا تقرأ وكانت نهمة جدا كذلك حتى كنا نتسابق فى القراءة ، وحين ننتهى من كتاب ، كنت أذهب إليها فنتدارس ما قرأناه معا !

" يقين " كانت روحها بالكتب ، كانت تقرأ بروحها وليس بعقلها فقط ، كانت كل كلمة تدخل إليها بسهولة ويسر وكانت إذا وُصف مكان فى كتاب تستطيع أن تصفه كأنها تراه وزارته ! عندما كنا نتباحث كانت دائما ما تناقش بمناظير تصب جميعها فى " إحياء أمة " و " إعزاز الإسلام " ولطالما تحدثت عن ذانيك المنظورين بعينين دامعتين وعينين محملقتين فى البعيد ، كمن ينتظر شيئا وطال انتظاره !

كان عشقنا للشعر شيئا مشتركا ، كنا دائما ما نكمل الأبيات لبعضنا وأذكر تماما ذاك الموقف عندما كان " محمود " يتضاحك علينا وعينانا تفضحانا عن مقدار عشقنا لبعضنا ولما زاد فى تغامزه علينا ، فقذفته بأبيات شعر :

يا لائمى فى الهوى والهوى قدر ..

فأكملتها لى " يقين " :

لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم ..

ولأنه لم يكن يكره شيئا كما الشعر فقد بُهت بقولنا وانسحب فى هدوء ، وظللنا نضايقه بذلك الموقف كثيرا !

وإن من العلم لضرر ! خاصة عندما يكون فلسفة ، وكان ذلك مجال دراسة " يقين " وكانت مولعة بمجالها جدا ..

وولعها هذا كنت أتلمسه فى بعض مناقشتنا وعندما تبدأ فى ذلك ، أظل أقول لها " أبسط يا مهجة القلب " حتى تغتاظ منى وتعلن مستسلمة أننى على حق فقط لتتخلص من إغاظتى لها

ومن تجربتى مع " يقين " أدرك تماما أنه عندما يكون العلم متقاربا أو على الأقل لدى الطرفين ولهٍ بالتعلم فإن العشق يزداد وتصير الحياة أروع ، فالقضايا التى يحملها الشخص عندما يتشاركها معه شخص آخر فيصير الحمل نفس الحمل ، تكون الحياة أفضل وأحلى وأمتع !

انتـهى الفصـل

***

وكعادتى كنت فى عالم آخر !

أخذنى كلام جدى إلى حيث كنا نتناقش أنا و " حمزة " وصارت كلمات جدى تتردد فى أذنى " وكلما تقارب الشخصان فى العلم ، يزيد العشق "

شعرت أننى أحتاج إلى تنشق هواء البحر فخرجت أجلس عليه أتنشق هواءه ، وأسمع صوت أمواجه وأفضى إليه أفكارى ! أتى " حمزة " وجلس بجانبى ولم أشعر به حتى نادى على ، جلسنا قليلا ثم سرنا إلى السيارة وفى طريقنا سمعنا صوتا ينادى " عمى حمزة " التفتنا فوجدنا مجموعة من الأطفال يقبلون علينا ، تهلل وجه " حمزة " حتى وصلوا إلينا فهبط إلى مستواهم وقبلهم واحدا واحدا وأخرج من جيبه الحلوى ووزعها عليهم !

وصار يسأل كل واحد منهم سؤالا خاصا .. فيسأل هذا " كيف حال الوالد ؟! " وذاك " كيف حال أخيك ؟! " وآخر " كيف حال حفظك ؟! " وظلوا كذل حتى التفت إلى طفل منهم وسأله " من هذه يا عمى ؟! " فالتفت إليهم وابتسم وقال لهم " هذه زوجتى " وأمسك بيدى ثم أجلسنى بمستواهم ، فاقترب منى أصغرهم ونظر بتعجب وقال " زوجتك ! ولكنها جميلة جدا .. ليست كالأخرى ؟! " لم أفهم ! فنظرت إلى حمزة .. نظر إلى واحمر وجهه وفهمت من نظراته أن أنتظر ! "

تفرقوا وكان هناك سؤالين يلحان على " الأول : كيف يعرفه هؤلاء الأطفال ؟! والثانى والأهم " من هى تلك الأخرى ؟!

سرنا إلى السيارة وكنت أنتظر أن يخبرنى ولكنه لم يفعل ، فبادرته بالسؤال عن صلته بالأطفال ؟! فأجابنى أنه كان يحفظهم القرآن لبعض الوقت كما أنهم جيرانه وكان يصطحبهم معه للصلاة بالمسجد .. وصمت ! كان الفضول يقتلنى أو ربما شئ آخر ! ليس الوقت الآن أن أحلل مشاعرى ! فسألته " ومن هى الأخرى ؟! فسألنى " ولماذا تريدين أن تعرفى ؟! " لم أشعر إلا وأنا أقول له والتعجب يملأ صوتى " ألست زوجتك ؟! " فابتسم وقال لى " حسنا .. كنت قد خطبت من قبل " تعجبت وقلت له " لكنك لم تخبرنى ؟!

" نعم لم تدم خطبتنا سوى أسبوع لأنها .. " وصمت مرة ثانية ! فسألته " ولكن ماذا ؟! فأجاب "لأنها قد توفيت فى حادثة بعدها ! " صدمت وصمت وكذلك هو إلى أن وصلنا إلى المنزل ؟!

فأوقفته وسألته " هل أحببتها ؟! فأجابنى " لم أكن أعرفها قبل خطبتنا لذا أعجبت فقط بأخلاقها والتزامها – رحمة الله عليها – كانت ذا سيرة حسنة " ثم أضاف مبتسما " ولكن أعتقد أنه لو كان قدر لنا أن نكمل معا لأحببتها ! " فصرخت به " ماذا تقول ؟! " فقال لى مبتسما بسخرية " أقول .. إذا ! " ثم ذهب ودخل إلى المنزل " ..

اغتظت كثيرا من كلامه وشعرت بذاك الشعور الذى شعرت به يوم عقد قرانى إلا أنه هذه المرة أقوى .. شعور الغيرة !! "

دخلت إلى المنزل وصعدت إلى غرفتى وكانت كلماته تدق فى رأسى ، خرجت من الغرفة فإذا به أمامى ، نظرت إليه وما إن هممت بتركه حتى أمسكنى من ذراعى ، فالتفت إليه وصرخت به " إذن لماذا عقدت على ! " قربنى إليه ونظر فى عينى ثم قال :

أمات الحب عشاقا .. وحبك أنت أحيانى ..

ولو خيرت فى وطن .. لقلت هواك أوطانى ..

دق قلبى سريعا وظل ينظر فى عينى ، شعرت بحرارة وجهى فدفعته بعيدا ودخلت إلى الحجرة وأغلقتها جيدا ، وتذكرت كلام جدى – رحمة الله عليه –

وجدت هاتفى يرن وقد بعث إلى برسالة :

وأمر ما لقيت من أمر الهوى .. قرب الحبيب وما إليه وصول !

" كونى رفيقة بقلب أحبك "

ابتسمت من رسالته وشعرت حينها أن شيئا ما قد تغير بداخلى وإلى الأبد !

***

عندما كنا مع الأطفال كنت قد اشتقت إليهم ، بعد عملى انقطعت عنهم لضيق الوقت ، وبعد انتقالى لبيت " سنا " لم اكن أصلى بمسجد المنطقة ..

سامح الله الطفل الصغير الذى فتح موضوع خطبتى السابقة ، فلأنهم جيرانى كانوا يعلمون عنها – رحمها الله –

لم يأتوا لزيارتنا إلا مرتين وتعجبت عندما تذكرها الطفل !

لم أحب خطيبتى فلم تجمعنا سوى بعض الأيام القلائل إلا أننى كنت أحترمها فكانت – ولا نزكى على الله

أحدا – نِعم الخلق والتدين ..

آثرت الصمت مع " سنا " لألحظ غيرتها وقد وجدتها عندما مازحتها على باب المنزل ، كان مجرد مزاحا إلا أنها قد أخذته على محمل الجد !

تركتها وذهبت إلى الداخل ، دخلت بعدى مستاءة ولم يطاوعنى قلبى أن أتركها كثيرا ، فصعدت إليها وإذا بها خارجة من الغرفة !

لطالما عشقت شكلها وهى فى قمة حنقها ولم أشعر بنفسى إلا وأنا أسترسل فى أبيات الشعر ، سكنت هى قلبى ، فماذا يفعل المسكون سوى محاولة إخراج بعض المشاعر !

***

فى الصباح أوصلنى " حمزة " إلى بيت جدى وهو يتمتم ..

يا هائما قلبى يطير .. يا غائبا عمرى قصير !

ابتسمت لما أدركت معناها ..

ذهبت إلى منزل جدى وفتحت المجلد كى أكمل قرءاته وجلست على كرسى جدى أمام البحر

وجدت قبل الفصل .. كلمة واحدة فى المنتصف " اشتقتك ! "

***

الفصل السابع :

" الوصـال والوصول " ..

اليوم هو يوم بناءى ولن أبنى قبل أن أنفذ شرطى ، هكذا كان شرط "يقين " ، شرط يقين كان قاسيا إلا أننى فى الأصل كنت أذوب له شوقا !

بعد فضل الله وبسبب علاقاتى الكثيرة استطعت بحمد لله تدبر الشرط ، وعندما تيسر أمر الشرط كان قلبى يرفرف لسببين :

أولا : الآن حققت مراد حبيبتى ..

ثانيا : حققت أمنية مخفية فى قلبى منذ زمن ..

أقيم العرس وعلقت الزينة ودقت الدفوف ، وانطلقنا إلى حيث أمنيتها وأمنيتى !

جلسنا بالطائرة ويدها ممسكة بيداى ، قلبها أكاد أسمع دقاته ، بريق عينيها دائم لا ينقطع وأما ثيابها كأنها ذاهبة إلى زفة !

وبعد الدخول فى عدة أزقة وعدد من الممرات والطرق العجيبة .. وصلنا بحمد الله !

وصلنا إلى الأراضى المقدسة .. إلى القدس ! إلى موطن ليس ككل المواطن ! سجدت أقبّل أرضها

فسجدت معى ، نشكر الله على نعمته التى أوصلنا بها إلى هنا ... كنت قد استأجرت شقة لنجلس بها مدة إقامتنا هناك ، والتى لم تكن تتعدى الأسبوع ، وأدركت أن ما يحكى هو جزء الجزء من الحقيقة !

إن ما يسر لنا أمورنا قليلا فى هذه الرحلة أن كلينا يحمل جوازا أسبانيا ، إلا أن حجاب " يقين " كان مشكلة كبيرة بالطبع ! لذا لم تكن " يقين " تخرج من المنزل تقريبا إلا قليل القليل ! حينما تدرك أن العروبة عذاب ، فقل على العرب السلام !

واحتاجتنى سيرة الشهداء وكان من أكثر الأشخاص الذين تأثرت بذكراهم !

– الشيخ " أحمد ياسين " هذا الرجل الأمة – رحمة الله عليه – وتقبله من الشهداء ، كلما سمعت عنه حكاية أخجل من نفسى كثيرا , فمن أنا أمام هذا الرجل ؟!

– أمير الظل " عبد الله البرغوثى " صاحب أكثر من حكم عليه بالسجن من سنين ، قرأت سيرة حياته المسربة ولكم أعجبت بثباته وكيف أنه ما زال يهتم تمام الاهتمام بالأمة حتى وهو سجين ؟!

– " يحى عياش " هذا المجاهد الهادئ البطل وكلمته الشهيرة " كن مع الله ولا تبالى " وزواجه وحياته وإخلاصه

وعندما وصلت إلى سيرته ظللت أردد :

عياش حى لا تقل عياش مات ... وهل يجف النيل أو نهر الفرات .. !

وجدت "يقين " تربت على كتفى وتقول لى " أزارتك سيرة الشهداء ؟! " فسألتها " اقرأتى عنهم ؟! " فقالت " نعم " وإن من أعجب ما قرأت بعد سيرتهم كانت سيرة زوجاتهم وصبرهن ، وكنت أدرك تماما أنه كما أن الله اصطفى الشهداء فقد اصطفى زوجاتهم ، وبقدر ارتقاء الشهداء بقدر ثبات زوجاتهم !

كان شرطها أن أصلى بها ركعتين ما قبل البناء فى المسجد الأقصى ، نزلنا من المنزل طاهرين واتجهنا إلى المسجد الأقصى ! دخلنا إليه بعد كثير كثير من الإجراءات وكثير من التشديدات فى مسجد هو بالأصل لنا !

ونحن على ببابه دعوت فقلت " اللهم تقبل عملى ولا تجعل زيارتى تلك آخر عهدى بالمسجد الأقصى وادخلنى وادخلنا اللهم وإياه محررين "

دخلنا ويدى بيديها وما إن وصلنا إلى منتصف المسجد حتى انهرنا فى البكاء ، ظللنا من الوقت ما لم أحصه ! أفقنا وشرعنا فى تأدية الصلاة ، اخترنا ركنا بعيدا نسبيا كى تصلى خلفى دون حرج ، صلينا بداية ركعتين تحية للمسجد ولكن ليست كأى تحية فليس كأى مسجد ! بعد انتهاءنا نظرت إلى نظرة رائعه وقال لى " هيا بنا " ثم قالت لى " اشتقتك "

ثم شرعنا فى تأدية الصلاة .. أقمت وصليت بها إماما وكانت فرحتى كبيرة ، أصلى بزوجتى التى تمنيتها وأحبها قلبى صلاة البناء فى المسجد الأقصى !

استدرت لأجدها ما زالت ساجدة ، حاولت إفاقتها فناديت عليها فلم تجب ! طبطبت على ظهرها بيدى ولكنها ظلت ساكنة ، فحاولت رفع رأسها لم تتحرك أبدا ، قمت بقياس نبضها ولكن لا نبض ! لا نبض ! كانت قد ماتت ! فانقطع بى وصالها !!

عندما علم من فى المسجد معى بذلك ، كان جمع منهم من الفلسطنين إن لم يكونوا جميعا ! نادوا على النساء فى الخارج ، حملوها وغسلوها وحتى دفنوها وأنا فى قمة تعجبى . لم أذرف دمعة واحدة !!!

اتصلت ببيت " مؤمن " لا أدرى كيف أنقل إليهم هذا الخبر ، ماذا أقول ؟! رد على الوالد فرددت عليه

تحية الإسلام ثم قلت له " عمى .. " فأجابنى " نعم يا بنى .. أنتم بخير ؟! هنا تمالكت نفسى ثم قلت له " لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شئ عنده بمقدار " فاجأنى " عمى " وقال لى " إنا لله وإنا إليه راجعون .. الحمد لله ، قد نالت ما أردات " ثم فاجأنى ثانية " بنى .. كن قويا وارجع إلينا سالما .. سلم لنا عليها ، علنا نلقاها قريبا يا رب " أغلقت الهاتف .. وأنا قد سمعت نبرة الحزن بالطبع فى صوت عمى إلا أننى أيضا لمست الرضى ... فأى نهاية تلك يا " يقين " ..

وصلت إلى منزلنا المستأجر وبكيت كما لم أبكى من قبل ! كانت نعم الرفيقة والزوجة ونعم السُكنى ، كان كل شئ يذكرنى بها ، رائحة المنزل... ملابسها .. حاجياتها ، كل شئ كل شئ.
لم أستطع أن أجلس ما يزيد عن ذلك ، قضيت ليلتى ورتبت أمورى وعدت إلى إسبانيا ، ونزلت إلى أهلها ولا أعلم أواسيهم أم يواسوننى ! ووالله كانوا ثابتين !

عندما وجدنى " عمى " كذلك " جلس إلى وقال " يا بنى إن قدر الله خير وإن الصبر خير ، وإنى والله كنت أدعو الله أن يكونوا صالحين فيتقبلهم ، ولم أسميهم هباء بل سميتهم ودعوت الله أن يجعل لهم من اسمهم نصيب وقد كان إلى الآن والحمد لله ، فأما " مومن " فقد مات على طاعة والحمد لله ، وأما " يقين " فقد كان يقينها يحيرنا جميعا ، كانت موقنة تماما بأن كل أمور الله خير ، كانت موقنة أن الله سيوفقها إلى ما فيه الخير لها ، لذا لم أذكر أنها حزنت على أمر كانت تريده ولم يأتها ! – رحمهما الله _ .. وأما " محمود " فنحمد الله عليه ونروجو أن يكون محمودا فى الدنيا والآخرة إن شاء الله "
كانت دموع " عمى " متلألئة فى عينية ولكنه كما لو كان ممسكا بها يخشى أن تهبط منهما !
قمت فقبلت رأس عمى ووالله كنت على حياء منه وقلت له " أسأل الله لى ولك الثبات والصبر وأن يأجرنا الله على ذلك "

عندما كنت ألملم حاجيات " يقين " وجدت لها مذكرات فى حقيبتها أخذتها معى ، عدت إلى المنزل الذى قد أعددناه سويا لى ول "يقين " إلا أننى لم أحتمل مكوثى به ، فنزلت أجلس على البحر وفتحت المذكرات

كانت تحكى عنا سويا ، كانت تحكيها بأدق أدق التفاصيل ، كان الحب ينبت من كلماتها ، حكت عن يوم الرؤية وعن تعجبها عندما وافقت على شرطها وكتبت عن كل موقف وكل تفصيلة فى حياتنا ، كنت أتذكر وهي تحكى عن شعورها وكنت أبكى كلما قرأت ..

كانت تحكى كثيرا كثيرا عن الأقصى وعن شوقها الشديد للذهاب لزيارته والصلاة به !

فى آخر صفحة كتبت " شوقا إليك أيها المسجد ، كيف حال قلبى ؟! قلبى يطير فرحا ، كيف حالى أنا ؟! أتساءل ماذا فعلت يا ترى لأستحق هذا الكرم من الله – سبحانه وتعالى – ! كريم أنت يا الله ...

زوجتنى من رجل ليس كبقية الرجال رقيق القلب ، منير الجبهه ، مبتسم كعادته ، مجتهدا فى عمله ، والأفضل رزقتنى بمن يحقق حلمى والذى علمت فيما بعد أنه حلمه ! ..

وصلنا إلى القدس منذ وقت قليل ، " خالد " قد نام من الإرهاق ، إلا ان شوقى منعنى من النوم ، كنت أقرأ عن سيرة الشهداء وشجاعتهم بل وثبات عائلتهم وأهليهم وذويهم ! كنت أستشعر الشعور قويا كلما قرأت إلا أننى حقا كنت أتساءل كيف انطوى فيهم الحلم هكذا حتى أنهم قدموه على حياتهم ؟! ولكنى علمت لم كانوا يقدمونه على حياتهم بعدها ، إن من يحمل هم القضية وتتملك منه وتكون قضيته لله ،فما نفع الحياة دون تحقيقها ؟ وإن كان الموت هو ما سيحققها فأهلا بالموت !

كانت تلك المشاعر تغزونى ، وأنا بتلك المدينة ، كنت أبحث ذات يوم عن المكان الذى أود أن أموت به وكان انحصار قلبى وعقلى بمكانين إن لم يكن استشهادا ففى بيت الله أو المسجد الأقصى وإنى لأرجو بالأخير .. ترى أيحققها الله لى ؟! اللهم اجعل إخلاصى لك "

عندها انتهت كلماتها وكانت آخر كلمة لها ! بكيت ولكنى ابتسمت كانت صادقة النوايا .. صدقت الله فصدقها ! كيف رزقنى الله بمثل تلك الفتاة ؟! اللهم اجمعنى بها فى فردوسك

لم أستطع أن امكث فى إسبانيا أكثر من ذلك ، بعت المنزل واتفقت مع " محمود " أن أنزل مصر وأدير فرع الشركة هناك وأن أذهب إليه كلما احتاجنى .

نزلت إلى مصر واستقريت بالأسكندرية ، كانت مشاعر " يقين " لم تخفت أبدا بداخلى فلم أستطع الزواج حتى سن الخامسة والثلاثين ، حتى ساق الله إلى " زينة " كانت نعم الزوجة ، تزوجتها بعد أن صارحتها بما حدث قبلا مع " يقين " ووافقت ، كانت صبورة فلم تعنفنى قط وحاولت التقرب منى رويدا رويدا حتى استحوذت على عقلى وجزءا من قلبى ولكنها أبدا لم تلغى " يقين " من حياتى ! رزقنى الله منها بولد واحد وكان نعم الولد هو ..

انتهى الفصل وبكيت وبكيت لأننى أدركت من نفسى كم أحتاج إلى الإصلاح فدعوت الله كثيرا أن يصلحنى ويصلحنى !

***

مر على " حمزة " وأوصلنى إلى " ليلى " اشتقت لها كثيرا وظللنا نتحدث وعنفتنى كثيرا ، أخبرتها بجميع ما حدث وعندما انتهيت سألتنى " وهل أحببته ؟! " فاحمر وجهى ولم أستطع الإجابة ! فأخذت " ليلى " تهلل " الله أكبر " ابتسمت وقلت لها " ما زلت فى البداية " ، أخذنا الحديث حتى اتصل " حمزة "وقال أنه بانتظارى ، ودعت " ليلى " وذهبت باتجاه سيارة " حمزة " كان يضع " سماعات الأذن " غاضضا لبصره ويستمع باستمتاع ، وعلى أغلب الظن كان يستمع ويقرأ مع ورده ..
كنت أستمتع بمشاهدة تلك اللوحة التى يزينها " حمزة " حتى كدت أصطدم بشخص يقف أمامى ، وعندما رفعت نظرى إليه وجدته ذلك الشاب من الجامعة يسد على طريقى ! وما إن هممت بتعنيفه حتى وجدت " حمزة " أمامى ويسألنى " ماذا هناك ؟! " وجدت الشاب يندفع ليقول " لم لا تصفعينه هو الآخر ؟! ابتسمت وقلت له " هو زوجى " اصفر وجهه وأنا أمسكت يد " حمزة " وذهبنا إلى السيارة .. وما إن وصلنا إليها حتى انفجرت بالضحك

كان " حمزة " ينظر إلى متعجبا فأخبرته بقصة هذا الشاب وأنه كان يضايقنى فلويت له ذراعه ! وما إن قصصت له حتى انفجر هو الآخر ضاحكا

ثم قال " إذن أنتى قوية "

فقلت له " فقط لمن يستحق "

فقال لى " إذن فقط كنت محقا عندما أخبرتك أن تحافظى على أعصابك ,, أن لا ترين إلى أين أوصلتك ! "

قلت له " حسنا , حسنا .. هذا لن يحدث ثانية "

عدنا إلى المنزل وظللنا نتحدث كثيرا ، أقص عليه ويقص على ذكريات جامعته وجامعتى ، تقاربنا كثيرا فى هذا الحديث

فسألته " حمزة " هل حقا أحببتها ؟!

فابتسم وقال لى " من ؟! " قلت له "

أنت تبتستم تلك الابتسامة إذن أنت تعرف من أقصد ؟! "

فقال لى " حسنا لا تقطبى جبينك " ثم أمسك بيدى ووضعها على قلبه وقال " هذا القلب ليس به سواك أنت .. أقسم على ذلك" ثم أخذ بيدى وقبلها ، احمرت وجنتاى وصمت ..

صعدت إلى غرفتى لأجده وقد بعث إلى برساله :

قلبى يحدثنى بإنك متلفى ... روحى فداك عرفت أم لم تعرف ؟!

فرددت عليه :

لأقعدن على الطريق وأشتكى ... وأقول مظلوم وأنت ظلمتنى ..

فأكملها لى وقال :

ولأدعون عليك فى غسق الدجى .. يبليك ربى مثل ما أبليتنى..

صليت القيام ودعوت لجدى وهذه المرة أشركت " يقين " وجدتى ... جلست لأقرأ وردى وأسبح حتى غفوت ! استيقظت الفجر .. صليت وقرأت القرآن والأذكار وجفانى النوم .. فنزلت إلى الحديقة وظللت بها أتأمل السماء وأنتظر الشروق ... جاء " حمزة " من صلاة الفجر وجلس إلى جوارى وسألنى " لم انت مستيقظة ؟! " فأخبرته أننى لا أستطيع النوم .

فابتسم ابتسامة ماكرة وقال لى " وهل هناك ما يشغل تفكيرك ؟!

قلت له " نعم " فقال لى " من ؟! " فقلت " جدى – رحمه الله – وأخرجت له لسانى "

ابتسم وقال لى " حسنا " أمسك بيدى وجلسنا معا ننتظر الشروق ،

صلينا الضحى وغفونا قليلا ...

بدلت ملابسى وأوصلنى " حمزة " إلى منزل جدى وذهب هو إلى عمله ... فتحت المجلد وجلست أكمل ما بدأته ..

وجدت جدى قد كتب بالخط الكوفى ... " النهاية دائما ما تكون بداية لشخص آخر ! "

***

الفصــل الثامن :

" البيــان "

بنيتى .. ألهتنى مشاغل الحياه فلم أكمل هذا المجلد .. وقفت عند هذا الفصل ، حيث لم يتخطاه قلبى أبدا ! ذهب قلبى مع " يقين " وباقى حياتى وقلبى وعقلى مع " زينة " ..

بنيتى أكتب إليك هذا الفصل وأنا أستشعر قرب وفاتى ....

عهدتك صعبة المراس ، من الصعب إرضائك ، اشترطت شروطى لأغرز بك أشياء :

الشرط الأول : وهو أن تبلغى من العمر عشرين عاما ،

لأن بعد العشرين الأولى تتسائلين أين أذهب ؟! وبعد كل عشر تتسائلين نفس السؤال ؟! ولكى تكونى مدركة تماما لكل كلمة تقال ، فلعلى أفدتك !

الشرط الثانى : وهو أن تكملى كتاب الله حفظا

لأن كتاب الله حجر ثابت فى كل طريق ، وهو زاد الطريق وعدته !

الشرط الثالث : وهو أن تحافظى على ما أنشئتك عليه

لأنى أدرك تماما أن الفطرة السليمة قد تتغير بتغير الزمان ، فأردت أن تحافظى عليها ..

الشرط الرابع : وهو أن تصلى ركعتين توبة قبل النوم

وذلك لإدراكى أن الذنوب الصغار كفيلة بجعل قلبك مهموم ولها القدرة على تغيير الفطرة وتقليب القلب من الأبيض إلى الأسود !

الشرط الخامس : وهو أن لا تتزوجى قبل أن تنتهى من المجلد

لعلمى أنك ما زلت تحتاجين بعض الوقت للزواج ، بعض التجارب وأعتقد أن تجربتى قد فتحت عيونك على أشياء جديدة ..

الشرط السادس : وهو أن تفعلى الشئ لا تفعليه إلا الله ..

وذلك لأن النية هى الأصل متى أخلصتها أخلص العمل وخرج نقيا ويسر الله فيه ..

الشرط السابع : وهو نهاية كل فصل ... والرسائل التى تحتويها كل فصل ..

وذلك خلاصة تجربتى وما أحسست به آنذاك ... خذيها علها تفيدك ..

الشرط الثامن : وهو الذهاب إلى البحر ..

لانى أعلم أنك عصبية ، وإن من أن البحر أن يقلل تلك العصبية لديك ويهدئ من ردة فعلك وإنى لآمل أن يكون فعل ,..

الشرط التاسع : وهو بر الوالدين ..

أعلن أنك رغم صعوبة مراسك إلا أنك ستكونين بارة بهما ، ولكنى أخشى من شرطى العاشر أن لا توافقى على كلامهما ، كما أنى أعلم أن أغلب أوامرهما لا تأتى على هواك..

الشرط العاشر : وجدته مع " حمزة " هو خير الناس وخير زوج وستعلمين وتدركين مع الوقت صحة كلامى ..

تلك عشرة كاملة ... بنيتى إن الحياة بها صعاب تعلمى منها ، واعلمى أن ما كان ليصيبك ما كان ليخطأك ، واعلمى أنه بطول عمرك بطول خطأك بطول تعلمك ..

احفظى الله يحفظك ...

بنيتى لتكملى ما بدأته .. "

جـــــدك

ظللت أردد الآن فهمت يا جدى ، رحمك الله رحمة واسعة .. وأخرجت قلمى من حافظتى وكتبت

***

الفصل التاسع :

" كانت لتكون "...

أيا جدى : اشتقت إليك ..

إن هذا المجلد إن لم يكن الطريق فى حد ذاته فهو جزء كبير من الطريق ... ربما لم أدرك من المعانى فى حياتى ، ما أدركته بقراءتى هذا المجلد ..

أدركت منه لمن كان له قلب ... :

كانت الفرقة .. لتكون الأمة بعدها ..

كان الظلم ..... ليكن العدل بعده ..

كانت القسوة ... لتكون الطيبة الأساس ..

كان الظلام دامسا ... ليكون الفجر مشرقا ..

كانت الفردية .. ليكون الزواج أساس المجتمع ..

كان احتلال الأقصى .. ليكون تحريرها أملا ..

كنت أنا هكذا .. لأكون أفضل بعدها ..

إن الأمور لا تدوم .. وإن كل أمر لغير الله زائل ..

وأن الله وعده الحق .. ولله عاقبة الأمور ...

ما كنا لندرك جميل نعمه .. لولا عظيم ابتلاه ..

ما كنا لندرك الخير .... لولا وجود الشر ..

كما أن الأبيض لن يظهر نقاءة إلا بظهور الأسود ...

لن تدرك الأشياء إلا بتناقضها ، فاحمد الله دائما وأعلم دائما أنه ما كانت الظلمة إلا ليكون النور ..

وما كان الشر إلا ويكون الخير ..

فما كان .. يكن أفضل ...

لعلنى الآن على بداية الطريق !! ..

أيا جدى ربما لا أستطيع الكتابة مثلك ، إلا أن كل كلمة قرأتها قد حركت بداخلى شيئا لا أدرى كنهه ..

رحمة الله عليك .. أذكر الآن .. كم كانت حياتك مليئة بالخير .. تساعد هذا وذاك ... تمد يد العون لمن تعرفهم ومن لا تعرفهم ..

تجتهد بعملك حتى أنهم كانوا يخافون ذكائك فى سوق العمل .. !

اللهم اسكنه فسيح جناتك ...

أغلقت المجلد .. وأعدت قلمى مكانه .. وهبطت إلى أسفل إلى " حمزة " ..

ذهبت إلى " حمزة " وكان ساكنا على غير عادته ، ابتسامته ناقصة وعيناه مكسورتين، أوصلنى إلى المنزل ولم ينبس ببنت شفة! أكلنا معا ثم استئذن وخرج...

بعد صلاة المغرب كنت أقف فى شرفتى ووجدته يدخل من بوابة البيت .. وعيناه شبة مليئة بالدموع يكفكهما بيديه ..

وجدت قدمى تقودنى إليه ، ناديت عليه " حمزة " فنظر إلى ثم التفت يخفى وجهه ويمسح دمعه ! ثم التفت مرة أخرى وقال " نعم " ...

فسألته : " ما بك ؟1 "

ابتسم وقال " لا شئ "

قلت له " بل هناك ! عيناك لا تكذبان "

فنظر إلى الأرض وقال لى " سنا" إننى متعب الآن الله يبارك لك .. اتركينى الآن ونتحدث لاحقا ، فهلا تأذنين لى ؟! "

قلت له " حسنا "

فدخل الغرفة وتركنى أتساءل ! ترى ماذا حدث لرباطة جأشه ! ...

***

الفصل العاشـر :

" إسدال الستـار " ..

البارحة يا جدى أدركت لم اخترت لى " حمزة " ربما كان إدراكى بـ " حمزة " قبل وقت طويل .. إلا إن ما وقع فى قلبى البارحة أجبرنى على الاعتراف الآن ..

البارحة عندما كان وجهه كئيبا ودخل الغرفة وتركنى .. ظللت أتساءل .. لا أعلم ماذا به ؟!

كانت جدته خارجة من الغرفه واجمة الوجه أيضا ... ماذا بهما يا ترى ؟!

سألت " أمى " " ماذا بهما ؟! "

فأخبرتنى " أن والدا " حمزة " قد توفيا فى مثل هذا اليوم ! "

صدمت لسماع ذلك . فأنا لم أكن أعرف أى شئ عن ذلك .. لم يقص على أيا من ذلك ! .. كنت أعلم تماما كم أنه كتوم !! ظللت اتحدث إلى جدته وأحاول أن أخفف عنها ، كانت تقص على حياة ولدها وكيف أنه كان رائعا ، بارا بهما إلى أبعد الحدود ، كانت عندما تقص إلى أرى بعينيها الدموع والابتسامه والرضا ! تُرى ءأموت وأنا والدى قد رضيا عنى ! ما أصعبه رضاهما وما أجمله !

كنت أنتظر خروجه من الغرفة لأتحدث وأخفف عنه إلا أنه لم يخرج من الغرفة طوال اليوم ! ذهبت إلى غرفتى وغفوت .. ثم سمعت صوت نشيجا عاليا !

نزلت من غرفتى وتتبعت صوت النشيج حتى وصلت إلى الحديقة ، وجدت " حمزة " قد أقام صلاته ويصلى ، يقرأ القرآن بصوت شجى ويبكى ، كان مستغرقا تماما فى صلاته ..

دخلت سريعا وارتديت إسدالى ونزلت فصليت وراءه !

كانت صلاته لها طعم خاص ، بكى كثيرا حتى أبكانى ثم دعا وكان لدعاءه وقع شديد على ...

من دعاءه " اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاءك .. اللهم إنى راض فرضنى زيادة وأتم نعمتك على .. اللهم ارحمهما كما ربيانى صغيرا ، اللهم وأنزل على سكينتك ، اللهم وبحجم اشتياقى إليهما فاغفر لهما ذنوبهما وتجاوز عنهما وأدخلهما فسيح جناتك ... "

وعندها بكى كثيرا فبكيت ...

ثم أكمل " اللهم أصلحنى وأصلحنى وأصلحنى .. ثم اهدنى ، اللهم وإن كنت ابتعدت فردنى إليك ردا جميلا ، اللهم ارزقنى الإخلاص والتقوى ، اللهم نور قبرهما واجعلنى خير خلف لهما ، اللهم اجعلنى من جند الأقصى ، اللهم صلاة فيه ، اللهم إنى لا أستحق جنتك فاللهم اجعلنى أستحقها برحمتك "

انهى صلاته فربت على كتفه فالتفت إلى وتعجب عندما رآنى أصلى خلفه ، ابتسم لى والدموع فى عينيه ، ثم بكى كثيرا ، ربت على كتفه حتى هدأ ..

نام على قدمى .. ونظر إلى ثم قال " الآن يا " سنا " حان الوقت " .. وبدأ يقص حكايته ..

أنا اسمى " حمزة إبراهيم نور " .. جدى هو القبطان " نور " ذلك الرجل الذى حكى جدك عنه فى بداية المجلد ، التقيا جدك وجدى بعد وقت طويل من إنهاء جدى لعمله ، وتكونت من جديد أواصر الصداقة .. صارا متلازمين لدرجة أنهما أخذا منزلين بجاور بعضهما ، والدى أيضا كان قبطانا وكنا نسافر معه أنا ووالدتى كثيرا ونزور جدتى وجدى كل فترة .. ، وبحكم صداقة جدى وجدك فكان يأخذنى معه كلما أتيت لأسلم على جدك حتى تعلقت بجدك كثيرا ، كنت أجلس معه وأنهل من خبرته وعلمه ..

توفا والدىّ عندما كنت فى السابعة عشر من عمرى فى حادث سيارة معا فى يوم واحد ! كان وقع الخبر على شديدا انقطعت فترة عن الناس وتوجهت إلى رب الناس ، وكانت فترة عصيبة جدا على ، حتى أقنعنى جدى وجدك بالتعليم فى الخارج ، وبالفعل أكملت تعليمى فى الخارج وكنت كل فترة أزور جدى وجدتى وبالطبع جدك ، وعندما بلغت من العمر تسعة عشر عاما أعارانى ذلك المجلد لمدة سنة ، كنت

اقرأه كثيرا حتى حفظته عن ظهر قلب ، ومن كثرة قرآتى فيه أنا من جعل هذا القفل لا يفتح بسهوله لذا كنت أعلم كيفية فتحه ! كنت أعلم من ملامحك فى أى فصل أنتى !

عندما أعدت المجلد إلى جدك أعطانى ظرفا وأوصانى ألا أفتحه إلا بعد أن أبلغ من العمر " تسع وعشرون " سنة ، علمت بعدها أنه كان ينتظرك أنتى حتى تبلغى من العمر " عشرون عاما " ، بعد دراستى رزقنى الله بعمل فظللت أتردد بين العمل هنا وهناك على حسب متطلبات العمل ..

علمت بوفاة جدك وأنا فى الخارج وحزنت كثيرا ودعوت له كثيرا .. كنت أعرف والدك معرفة طفيفة من خلال زياراتى لجدك ، أما هو فكان يعرف عنى كل شئ حتى أمر الشرط ، كان والدك على اتصال بى وكنت أوده واطمئن عليه وكان يتابع كل أخبارى ، حتى أنه كان يعلم بأمر خطبتى الأولى !
كنت كلما نزلت إلى الأسكندرية أذهب لأسلم عليه ، و كنت أعشق رى الحدائق لذا عندما أكون فى الأسكندرية أسقى حديقتنا وحديقتكم ، ثم ابتسم .. فتذكرت الموقف وبادلته الابتسامة ..

عندما بلغت من العمر " تسع وعشرون " عاما فتحت الظرف ووجدت الورقه وكتب بها " كلام كثير عن حبه لى وعن اعتباره كحفيد له وهكذا ، إلا ان أوصانى إن لم أكن قد تزوجت بعد فأتزوج بك ! وحدثنى عنك كثيرا وكم أنك صعبة المراس وعن صفاتك وعن مفاتيحك لأستطيع الدخول إليك " كان يعلم أننى أحبه وأحترمه ولن أرفض له طلبا ..
تحدثت إلى والدك بعدها ورتبنا الأمور ، عندما رأيتك للمرة الأولى وقعت أسير هواك .. وتم لنا الأمر والحمد لله ..
وباقى الأمور قد عشتيها معى ..

مسحت على رأسة .. فاعتدل وقال مسرورا .. " هل معنى ذلك أننى قد فزت بقلبك ؟! "

فأومأت له رأسى أن نعم .. فقبل جبينى ..

ثم قال لى " هل تسمحين لى أن أنقل خاتمك إلى يدك اليسرى ؟!

" فأعطيت له يدى وفعلها .. ثم قال لى " انتظرينى قليلا " دخل مهرولا ثم خرج ..

أخذ بيدى وألبسنى خاتم الفراشة وقبل يدى ..

وقال " الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .. "

ثم قال لى " إذن متى الزواج ؟! "

فابتسمت وقلت له " لدى شرط .... "

فقال لى " سندخله إن شاء الله مصلين ومحررين فقط عندما نستحقه ! "

جدى .. ربما يوما عندما أجد طريقى سأعود لأكمل ذلك المجلد ..

جزاكم الله خيرا جدى على هديتك لى " حمزة " ...

*** تمـــت بحمد الله ***

عندمـــا بلغت من العمر عشر سنين ، أهداها جدها مجلدا كـــبيرا كـان من الصعب عليها أن تحمله بيديها الصغيرتين ، كان شكل المجلد عجيبا حتى أنه أغلق بقفل لا يفتح إلا بمفتاح ، أخبرها جدهـا أن مفتاحــه في سلسـلة ستهـدى إليها بعد ذلك و أشترط عليهـا حتى تفتحه شروط من دونها لا تستطيع ان تفتح الكتاب او تقرأ أى جزء منه !!

كان جدها يعلم أنها لم تبلغ من العمر الكثير حتى تدرك تماما ما تعنيه الشروط ...

تصميم الغلاف : اسماء امام